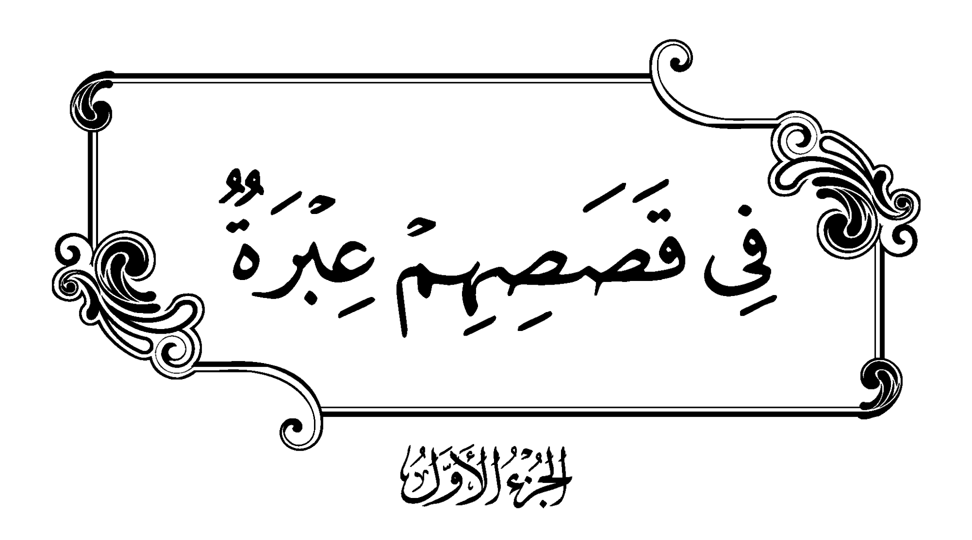
فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ

الْجُزْءُ الأَوَّلُ



فَضِيلَةُ الشَّيْخِ
أَبِي حَاتِمٍ سَعِيدُ القَاضِي

الألوكة
www.alukah.net



الجزء الأول

تقديم

فضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

بقلم

أَبِي حَاتِم سَعِيدُ القَاضِي



بسم الله الرحمن الرحیم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

فضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

الحمد للهِ، والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وبعد:

فهذه رسالةُ تذكيرٍ، جمعتْ عددًا من القَصصِ التي يعتبرُ بها الشخصُ، ويتَّعِظُ بها، وتَرِقُّ بها القلوبُ بإذنِ اللهِ، جَمَعَ مادَتَها أخي في الله سعيد القاضي - حفظه الله، وكلَّلَها - وفَّقَه اللهُ - بحسنِ تعبيرِه، وبتخريجِ أحاديثِها، والحكمِ عليها بما تسْتَحِقُّه صِحَةً أوْ ضَعْفًا.

وقد راجعتُ معَه عملَه، فألفيتُه - وللهِ الحمدُ - نافعًا موفَّقًا؛ فاللهَ أسألُ أنْ يزيدَه سَدَادًا إلى سَدادِه، وتوفِيقًا إلى توفِيقِه.

وصلِّ اللهمَّ على نبيِّنا محمدٍ وسلِّم، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

كتبه

أبُو عبدِ اللهِ/ مصْطَفَى بن العَدَوِيّ

١٩ محرم ١٤٣٥

تقديمُ أبي حاتمٍ

الحمد لله الذي قصَّ علينا من أخبارِ الأممِ ما فيه عبرةٌ لذوي الألبابِ، فقومًا هدى، وقومًا حقَّ عليهمُ العذاب، وقومٌ عبدوا ربَّهم، وبذلوا له الإحسان، وقومٌ حادوا عن النَّهجِ القويمِ، ووقعوا في حبائلِ الشيطانِ.

وصلِّ اللهمَّ على نبيِّنا محمدٍ ﷺ خيرِ المرسلين، وأصدقِ البشرِ أجمعين، ورحمةِ ربِّ العالمين، أمرَه ربُّه أنْ يقصَّ علينا من الأخبارِ ما فيه عبرة لمن تأمل فقال: ﴿ **فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الأعراف:١٧٦]، فامتثلَ ﷺ أمرَ ربِّه، وما حاد عن دربِه، فقصَّ علينا من الأنباءِ ما يشحذُ الهمم، ويسموا بالنفسِ إلى أعلى القممِ.

وبعد؛

فهذا كتابنا الموسوم بـ (**في قَصصهم عبرة**) الجزء الأول، ذكرتُ فيه بعضَ ما قصَّه علينا نبيُّنا ﷺ وصحابتُه رضي الله عنهم من أخبارِ من سبقنا من الأممِ، ليست من وحْي الخيالِ، ولا من أساطيرِ الكُهَّان، وإنما قَصصُ حقٍّ، فيها عبرٌ لمن تأمَّلَ، وعظةٌ لمن تدبَّرَ.

إنَّ الناظرَ في كتاب الله بإمعانٍ يجد أنَّه اشتملَ على كثيرٍ من أخبار الأنبياء والمرسلين، وقصصٍ لرجالٍ صالحين، وأقوامٍ فاسقين، ذكرَها ربُّ العالمين ليعتبرَ من يأتي بمن مضَى، ويأتسي المؤمنون بالأخيارِ والصالحين.

وليستْ هذه القَصصُ للطَّربِ والسَّمَرِ، وإنما للتدبُّر والتماس العِبَرِ، ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾ [يوسف:١١١].

ومن نظرَ في عالمِ الكتب وجدَ هذا الباب مليئا بالمصنَّفات ما بين مجلدٍ كبيرٍ، وكتابٍ صغيرٍ، لكنَّ كتابَنا هذا نسعى فيها لغاياتٍ ثلاثٍ، بعد رضى ربِّنا الجليل، والتماسِ العونَ منه والتوفيقَ:

الأولى- بيانُ وجه العبرة من هذه القَصص.

والثانية- صحَّةُ السَّندِ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فيما نذكرُ عنهم من الأخبارِ.

والثالثة- سردُ هذه القَصص سردًا أدبيًا سهل اللغة، بعيدا عن الرَّكاكةِ والحَشْو، والتَّكُّلفِ والتَّحَذْلُقِ.

وأسألُ الله في عليائِه وكبريائِه أن يرزقَني التوفيقَ والسَّدادَ، ويبصِّرَني بالحقِّ وسُبُلَ الرَّشادِ، وأن يجعلَ عملي خالصًا لوجهه بعيدًا عن تملُّقِ العبادِ.

وقد ذكرتُ القصةَ أولًا بسردٍ أدبيٍّ، وعلقتُ عليها في ثنايا الكلام، ثم بعد ذلك ذكرتُ النصَّ المرفوعَ أو الموقوفَ بروايةٍ أحدِ كتب السنةِ، وذكرتُ بين القوسين الزيادات على هذه الرواية، واستدمت رموزًا؛ وهي: [خ: البخاري. م: مسلم. د: أبو داود. ت: الترمذي. جة: ابن ماجة. حم: أحمد. حب: ابن حبان]. وقد اختصرت في التحقيقِ؛ لأنَّ هذا ليس محلُّه هنا.

وكتبه

أبو حاتم القاضي

١ ربيع الثاني ١٤٣٥

هاتف/ ٠١٠٦٩١٩٣٥٤٤

هل لي من توبة؟

كان هذا رجلٌ في بني إسرائيل، بلغ به الشر مبلغًا عظيمًا وتمكَّنَ الشيطان منه، وسيطرَ على عقله ولُبِّه، فتمادى في الفساد والطغيان والضلال، حتى أنَّه قتل تسعةً وتسعين نفسًا كلها يقتلها ظلمًا بغير حقٍّ.

ولك أن تتخيل أيها القارئ عِظَمَ الذنبِ الذي اقترفه ذلك الرجل حين تخشعُ لقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣]. هذا فيمن قتل مؤمنًا واحدًا، فما بالك بمن قتل تسعةً وتسعين نفسًا؟ و﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ ﴾ [المائدة: ٣٢].

ومع هذا فقد عَرَضت له التوبة، وخطر له أن يرجع إلى ربه جل في علاه، طامعًا في رحمته، راجيًا مغفرته؛ إذ هو القائل جلَّ شأنه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣].

فمهما عظُمَ الذنبُ فرحمة الله أعظم، ومهما كبُرَ الإثم فعفو الله أكبر، «**فإِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[(١)].

إنك ترى الرجل قد أسرف على نفسه في الذنوب؛ فتظنه من الهالكين، وقد كتبه الله من المرحومين المعتوقين.

ولِعِلْمِ الرجلِ بعِظَمِ ما ارتكب سألَ الناس عن أعلم أهل الأرض في زمانه ليسأله: هل إذا تاب يتوب الله عليه؟ لأن الله يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩). عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[النحل:٤٣]. فهو لا يريد طالب علمٍ صغير، بل يريدُ أعلم العلماء، وأحكم الحكماء من أهل الأرض.

غير أنَّ عوامَّ الناس كانوا قد اختلط عليهم الحابل بالنابل، والتبست عليهم الأمور؛ فلم يميّزوا بين العالم والعابد، واستوى عندهم الجميع مادام اللباس واحد. ونسَوْا أن فضل العالم على العابد لا يداينه فضلٌ، هو كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب؛ فإنَّ العلم يُنير للناس في سيرهم، ويأخذُ بأيدهم إلى ربِّهم.

فدلَّه الناسُ على راهبٍ عابدٍ، قد اعتزل الناس وترك دنياهم، وبنى صومعة يتعبدُ لمولاهم. قال تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد:٢٧].

أعدَّ الرجلُ عدَّته، وتهيَّأَ للذَّهَاب إلى ذلكم العابد الذي ظنَّه الناس عالمًّا. ذهب إليه يرجو الله أن يجعلَه في عِداد التائبين، وأن يركب سفينة النجاة فيكون من الفائزين، داعيًا الله أن يمنَّ عليه بالهداية والإنابة؛ فهو سبحانه ﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة:١٤٢].

دخل التائب على الراهب في صومعته. وكأنِّي به قد رأى رجلًا خاشعًا خاضعًا، وظن أنَّ عنده الشفاء والدواء، قد جاءه خائفًا وجلًا يخشى أنْ يسأله فيقول له: ليس لك توبة. لكنَّه أجمعَ العزمَ على السؤال، طالبًا من الله التيسير والتوفيق. فقال له بجرأةٍ وثباتٍ: إنَّه قتل تسعةً وتسعين نفسًا، كلَّها يقتلُها ظلمًا، بغير حقٍّ، فهل تجد لي مِن توبة؟

فزع الراهب وخاف. وكأني به قد احمرَّت وجنتاه، وانتفخت أوداجه من شدة الهلع، وارتعدت فرائصه، وتخيل بشاعة الذنب؛ فصاح به قائلًا: لقد قتلتَ تسعةً وتسعين نفسًا فليست لك توبة!!

كيف ذلك؟! تقتلُ مائة نفسٍ إلا واحدة، وتريد التوبة؟! هذا من العجائب، بلا ريبٍ ليست لك توبة، هذا لا يحتاج إلى سؤالٍ، ولا عالمٍ. هكذا ظنَّ العابد المسكين، وغَفَلَ عن سعة رحمة الله التي وسعت كلَّ شيء؛ فإن اللهَ عَزَّوَجَلَّ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»؛ فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ[(١)].

سمع الرجلُ كلامَ الراهبِ، ولم تصدقْ أذناه ما سمع، وتقلَّصت شفتاه، وشخَصتْ عيناه، وطاش عقله من رأسه، وتحجَّر قلبه، وكان وقع الكلام عليه كالصاعقة المحرقة. فانتضى سيفَه[(٢)]، واستلَّ حسامَه، وهوى به على رأسِ الراهب فأرداه قتيلًا، وأسقطه صريعًا، وأكمل به تمام المائة.

ورجع والخيبة على جِباه، والحزن لا يفارقُ عيناه.

وقتَلَ الراهبَ جهلُه وسوءُ فهمِه وحمقه - غفر الله له ورحمه - وصارَ مثلًا وعبرةً على فظاعةِ الجهل وقبحه وشرِّ عاقبته. وكما قيل: لسان الجاهل مفتاح حتفِه - يعني موتَه.

مكث الرجلُ ما شاء الله له، ثم عَرَضَتْ له التوبة؛ فلقد سَئِم حياة المعصية، وأبغض قلبُه الذنوبَ، وعزمَ على التوبة لعلام الغيوب. وأرادَ أنْ يتداركَ أمرَه؛ علَّ الله يمحوَ زلاتِه، ويغفر خطيئاتِه. لقد سعى إلى التوبة صادقًا، والله موفقه ومسدده. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة:١١٨].

خرجَ الرجلُ من دياره، فسأل الناسَ عن أعلم أهل الأرض قاطبةً، فدلَّه بعض الصالحين ممن هداهم الله إلى معرفة الحق وتمييزه عن الضلال على رجلٍ عالمٍ. قد فتحَ الله عليه من المعارف، وأفاض عليه بعلمٍ سديدٍ، وفقهٍ رشيدٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥٤). عَنْ أَبِي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

(٢) انتضى السيف إذا أخرجه من غمده.

سأل التائبُ العالمَ بقلبٍ وجِلٍ: إنَّه قتل تسعةً وتسعين نفسًا، كلَّها يقتلُها ظلمًا، بغير حقٍّ، فهل تجد لي من توبةٍ؟

فقال العالم الذي تنطق الحكمة على لسانه: لئن قلتُ لكَ: إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يتوبُ على مَن تابَ لقد كذبتُ؛ ومن يحولُ بينك وبين التوبةِ؟

الله أكبر! لقد جاء الفرج؛ إن الله يتوب على من تاب، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى:٢٥].

مهما فعل العبد من ذنوبٍ وآثام فرحمة الرحمن واسعة، من أقبل على الله صادقًا قَبِلَه الله. ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٩]. ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢].

فَرِحَ الرجلُ، واستنارَ وجهُهُ، وزاد تفاؤله. نعم، فالعلمُ حياةُ القلوب من عمى الجهل، ونورُ الأبصار في سير الظلام، وشفاء الصّدور من عليل الذنوب، ودليل المتحيّرين، ولولا العلماء لصار الناس كالبهائم السائمة، لا تعرف طريقًا، ولا تهتدي سبيلًا.

كان سؤال الرجل: هل لي توبة؟ لكن العالم لذكائه وحسن فهمه دلَّه كيف يتوب؟ فقال له: أخرج من القريةِ الخبيثةِ التي أنت بها، وائت قرية كذا وكذا فإنَّ بها أناسًا يعبدون الله، فاعبدِ اللهَ معهم؛ لعلَّ الله يتوبُ عليك، ولا ترجعْ إلى أرضك؛ فإنَّها أرضُ سوءٍ.

كانت توبة هذا الرجل - كما نصحه العالم - أنْ يتركَ أرضَ السوءِ، ويدعَ هؤلاء الناس الذين سكتوا عنه فلم يعظوه، وكادوا يردون به إلى الهاوية، لولا العناية الإلهية، والمنحة الربانية.

انطلق الرجلُ مسرعًا، وولَّى مدبرًا، ما تراخى، وما توانى، وما قال: غدًّا أتوب أو بعد غدٍ، وإنما ذهب إلى أرض الصلاح التي دلَّه عليها العالم، وبعُد عن أرض السوء.

يَا مَنْ يُعِدُّ غَدًا لِتَوْبَتِهِ ... أَعَلَى يَقِينٍ مِنْ بُلُوغِ غَدِ

المَرْءُ فِي زَلَلٍ عَلَى أَمَلٍ ... وَمَنِيَّةُ الإِنْسَانِ بَالرَّصَدِ

أيَّامُ عُمُرِكَ كُلُّهَا عَدَدٌ ... وَلَعَلّ يَوْمَك آخرُ العَدَدِ

انطلق الرجل تائبًا، حتى إذا كان في منتصف الطريق وافته المنية، ومات. ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴾ [ق:١٩]. فاختصمت فيه ملائكة العذاب وملائكة الرحمة، أيهم أحق به؟

قال إبليسُ لعنه الله: أنا أولى به؛ إنه لم يعصني ساعة قط.

وقالت ملائكةُ العذابِ: إنه لم يعمل خيرًا قط!!

قالت ملائكة الرحمة: إنه جاء تائبًا مقبلًا بقلبه.

فبعثَ اللهُ مَلَكًا على صورة آدميٍّ، فاختصموا إليه وجعلوه بينهم حَكَمًا، فقال لهم: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيّهما كان أدنى فهو لها، فألْحِقُوه بها.

كان الرجل أقرب إلى أرض السوء، لكنَّ الله لَمَّا علِم منه صدقًا وإخلاصًا حرك الأرض لأجله؛ فأوحى الله إلى القرية الخبيثة التي خرج منها أن تباعدي، والى القرية الصالحة التي قصدها أن تقرَّبي.

فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد بشبر؛ فألحقوه بأهلها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهكذا أنجى الله عبده التائب لَمَّا أقبل إليه صادقًا، مخلصًا، راجيًا، مخبتًا، منيبًا. ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴾ [الفرقان: ٧١].

وكان الله معه بتوفيقه إلى سبيلِ الحق وطريق الرشاد، فإنه جل شأنه يقول: «**مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ**»(١).

ولولا مبادرة هذا الرجل ومسارعته بالتوبة والأوبة لولت الأيام مدبرات وما تاب وهلك على العصيان فشقي في دنياه وأخراه.

وهذا نصُّ الحديث عن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أخرج البخاري ومسلم(٢)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال: [حم: لَا أُحَدِّثُكُمْ إِلَّا مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي] إِنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** [خ: فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ] **رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا** [جه: ثُمَّ عُرِضَتْ لَهُ التَّوْبَة]، **فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟**

فَقَالَ: لَا، [حم: «بَعْدَ قَتْلِ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ نَفْسًا؟]

[حم: فانتضى سَيْفَهُ] **فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً.**

[حم: ثُمَّ إِنَّهُ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ عُرِضَتْ لَهُ التَّوْبَةُ] **فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟**

فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ.

فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٦٩٠٢) عن أنس وأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦)، وأحمد (٣/ ٢٠، ٧٢)، وابن ماجه (٢٦٢٢)، **وهذا سياق** مسلم، وما بين القوسين عند من ذكرتهم بإسناد صحيح.

وفي لفظٍ: **ثُمَّ خَرَجَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ فِيهَا قَوْمٌ صَالِحُونَ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَأَى بِصَدْرِهِ، ثُمَّ مَاتَ.**

فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ.

[حم: «فَقَالَ إِبْلِيسُ: أَنَا أَوْلَى بِهِ لَمْ يَعْصِنِي سَاعَةً قَطُّ].

وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ.

[حم: «فَبَعَثَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ مَلَكًا] **فَأَتَاهُمْ ملك فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ.**

وفي لفظ: «**فَأَوْحَى اللهُ إِلَى هَذِهِ: أَنْ تَبَاعَدِي، وَإِلَى هَذِهِ: أَنْ تَقَرَّبِي**».

فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ بِشِبْرٍ [خ: «فَغُفِرَ لَهُ]، **فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ.**

قَالَ الْحَسَنُ البصري: ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ المَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ.



إِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ

كانوا ثَلَاثَة رجالٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ في بلاءٍ شديدٍ وعناءٍ أكيدٍ، فالأول: أَبْرَصٌ لا مال له، وَالثاني: أَقْرَعٌ لا مال له، وَالثالث: أَعْمَى لا مال له.

لكنَّ هذا ليس بلاءً جسيمًا ولا همًّا عظيمًا، ولذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ**». أليسوا في محنة؟ نعم، لكن ما ينتظرهم من البلاء أشدُّ من الفقر، وما ينتظرهم من الهم أعظم المرض.

أراد الله تعالى أن يبتليَهم ببلاءٍ أشد وأعظم وأفتك؛ ألا وهو: «البلاء بالغنى، والصحة». وهل الغنى والصحة بلاء؟ نعم، بلاءٌ عظيم، لا يثبت فيه إلا الأبطال الأقوياء، الذين سددهم رب الأرض والسماء.

ألم تسمع لقولِ ربنا الجليل: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]. وقولِ ربنا: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف:١٦٨]. فليس كما يتوهم كثيرٌ من الناس أن الفقير هو المبتلى؛ بل الغني أشدُّ بلاءً، وأكثر تمحيصًا.

حان وقت الاختبار والامتحان، فبعث الله عَزَّوَجَلَّ إليهم مَلكًا، فأتى الأبرص فقال له: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

تمنَّ يا عبدُ، ما هي أسمى أمانيك، وأعظم أحلامك؟

قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ.

لا أريد سوى ذلك؛ أن يعافيَني الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يكشف عني الضر والبلاء الذي أنا فيه، وساعتها سأكون شاكرًا ذاكرًا لربي دهري وعمري كله. يارب اشفني! لا أريد غير ذلك.

مسح المَلك هذا الأبرص بيده، وبكرمٍ من الله وفضلٍ ذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، وصار في أحسن صورةٍ، وأجمل منظرٍ.

قَالَ الملك: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الْإِبِلُ - أَوْ قَالَ الْبَقَرُ.

فأعطاه نَاقَةً عُشَرَاءَ، وهي: الحامل التي أتى عليها في حملها عشرة أشهرٍ، وهي من أنفسِ المال، ثم دعا له الملك؛ فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

ذهب الملك من عنده وتركه. وكأنِّي بهذا الأبرص - بل الذي كان أبرصًا - قد فَرِح لما شفاه الله، واستنار وجهه، وسعِدَ قلبُه، وازداد سرورُه واغتباطُه بالناقةِ التي أخذها؛ فلقد أعطاه الله فوق ما يرجو ويرمو.

سار الملك حتى أَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. أريد أن أكون جميل الخِلقة، حسن المنظر.

مَسَحَ المَلك رأس هذا الأقرع فَذَهَبَ عَنْهُ ما به من مرضٍ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا جميلًا.

قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الْبَقَرُ، فأعطاه بَقَرَةً حَامِلًا. ثم دعا له الملك؛ فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

ثم ذهب الملك من عنده وتركه مع ماله في نعمته، قد امتلأ قلبه سرورًا وفرحًا.

سار الملك حتى أتى الأعمى فقال له: فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

تمنَّ ما تشاء، واحلُم بما تحب.

قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ.

لا أريد من الدنيا غير ذلك، أريد أن أرى العالم من حولي، أتمنى أن أرى أهلي وأحبابي، أرجو أن أعيش حياتي كالناس أذهب وأروح بحريتي، أبغي أن يرد الله بصري، وسأكون له ممتنًّا، سأكون أعبدَ الناس وأقربهم من طاعة الله إذا عافاني.

وهكذا العبد، إذا فقد نعمةً رجى من الله امتلاكها، وإذا كان محنة سأل الله زوالها، ويعاهد ربه ليكونن من الشاكرين، وليصبحنَّ من العابدين. ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩]. ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس:٢٢].

مَسَحَ الملك علي عين الأعمى فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ.

قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الْغَنَمُ. فأعطاه شَاةً ذات ولد، سوف تلد قريبًا.

فأنتج صاحبا الإبل والبقر، وولَّد صاحب الشاة.

فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ.

وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ.

وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

صار عند كل واحدٍ منهم ثروةٍ هائلة، وأموالًا طائلة.

تركهم الله ردْحًا من الدهر[1]، وحان وقت الامتحان والاختبار الحقيقي، فما فات كان هزلًا، وها قد أتى الجد.

بعث الله إليهم هذا الملك، فأتى الرجل الأبرص - بل الذي كان أبرصًا - في صورته وهيئته التي كان عليها لَمَّا اجتمع به وهو أبرص؛ ليكونَ ذلك أبلغ في إقامة الحجَّة عليه، وتذكيره بسالف عهده.

---

(١) **الردح**: الْمُدَّة الطَّوِيلَة.

قال الملك له: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وابن سبيلٍ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيرًا، أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي.

لا أريد من هذه الثروة الضخمة سوى بعيرًا واحدًا.

فقال الرجل جاحدًا نعمةَ الله عليه: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ.

ليس عندي وقتٌ لك، فأنا مشغول بالتجارات، وعندي لقاءات، اغرب عن وجهي، ولا تقف عندي، لست فارغًا لك، فاللحظة مهمة عندي.

فقال له الملك متعجبًا: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟! فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟!

فقال الرجل جاحدًا ومنكرًا نعمةَ اللهِ عليه: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

ورثته عن آبائي وأجدادي، ورثته كبيرًا عن كبيرٍ في العزِّ والشرفِ.

فقال الملك: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. وأورد الدعاء بلفظ الفعل الماضي؛ لأنَّه أراد المبالغةَ في الدعاء.

ثم تركه في أشغاله ومع أنعامه، وأتى الأقرع في صورته وهيئته التي كان عليها لَمَّا اجتمع به أيام كان أقرعًا؛ ليكون ذلك أبلغ في إقامة الحجّة عليه، فقال له: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وابن سبيلٍ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ. أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أعطاك شعرًا حسنًا، بقرةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي.

فقال له بكبرٍ وغرورٍ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ.

فقال له معرفًا إيّاه بنعمة الله عليه: كأني أعرفك!! ألم تكن أقرع يقْذَرُك الناس؟! فقيرًا فأعطاك الله؟!

فقال الرجل كاذبًا متغطرسًا: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابرٍ.

فقال الملك: إن كنت كاذبًا فصيَّرَك الله إلى ما كنتَ.

وهكذا خَسِرَ رجلان من الثلاثة في معركة الشكر على النِّعمة، والثبات على طريق الجنَّة، واغترَّا بزينة الحياة الفانية، وآثروها على جنة الخلد الباقية، فليُبْشرا بغضب في الدنيا قريب، وعذاب في الآخرة ليس ببعيد.

ولِّي المَلَك من عند الأبرص والأقرع، ثم صار حتى أتى الأعمى في صورته وهيئته التي كان عليها لما اجتمع به وهو أعمي؛ ليكون ذلك أبلغ في إقامة الحجة والدليل عليه، فقال له: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وابن سبيل، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ. أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي.

فقال الرجل بكل وفاءٍ وعرفانٍ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى، فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ للهِ.

نعم، كنت فقيرًا.

نعم، كنت مريضًا.

لست أنكر ذلك.

فلله الحمد على نعمته، وله الشكر على منته، وله الوفاء على رحمته، خذ ما تشاء يا رجل، فو الله لا أحمَدُك على ترك شيءٍ تحتاج إليه من مالي، ولا أطلب منك الحمد على بذلي وإحساني.

خذ ما تشاء؛ فربنا الجليل يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧]. وفي الحديث: «**لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً، تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ**»[١].

فقال له الملك: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ.

---

(١) **حسن بشواهده**: أخرجه الترمذي (٣٠٩٤)، وابن ماجه (١٨٥٦)، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الجَعْدِ، عَنْ ثَوْبَانَ. وهذا منقطع. وله شاهد عن عمر، عند أحمد (٥/ ٣٦٦)، وفيه مجهول وسَلْم بن عطية لين الحديث.

وهذا نص الحديث عن نبينا ﷺ:

أخرج البخاري ومسلم(١)، عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ** [خ: بَدَا للهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ]، **فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟**

قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا.

قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الْإِبِلُ - أَوْ قَالَ الْبَقَرُ، شَكَّ إِسْحَاقُ - إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ، أَوِ الْأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ، وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ.

قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا.

قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا.

فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ.

قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤) ومسلم (٢٩٦٤)، والسياق لمسلم.

قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا.

قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ بَعِيرًا، أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي.

فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ.

فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟

فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا.

فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي.

فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ.

فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ».



عجوز بني إسرائيل

ترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدينته وبينما هو يسير مر برجل أعرابي، والعرب معروفون بكرمهم وجودهم، وما حاتم الطائي وأخباره منا ببعيد. أكرمن الأعرابي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واحتفل به، أعجب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكرم الأعرابي، وأحب أن يجازيه بمعروفه خيرًا، ويكافئه على حسن ضيافته برًّا، فهو القائل: «**مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ**». فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأعرابي: تَعَهَّدْنَا، ائْتِنَا.

تمر الأيام، ويأتي الأعرابي مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويلقى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول له: ما حاجتك؟

مرني بما تشاء، أفعله لك إن استطعت.

فكر الأعرابي في أمنياته، وفتش عن رغباته. يا تُرى ماذا يريد؟ وبماذا يحلُم؟ لقد كان الحلم «نَاقَةٌ بِرَحْلِهَا، وَيَحْلِبُ أَهْلِي لَبَنَهَا».

لم يتخيل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جواب الأعرابي، وكان لكلامه وقع الصاعقة، أهذا أقصى أمانيك؟ ياللهول.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَزَ هَذَا أَنْ يَكُونَ كَعَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ**».

فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: مَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

من تلك المرأة عالية الهمَّة، سامية الأمنية، ما خبرها؟ وما شأنها؟

تعالَ بنا نبدأ القصة.

خرج موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فارًّا بدينه وبقومه من بطش فرعون وجنوده، فلما سار بهم ضل طريقه، ولم يهتدِ سبيلَه، فسأل بَنِي إِسْرَائِيلَ: مَا هَذَا؟

لماذا نضلُّ الطريق؟

فَقَالَ لَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللهِ أَنْ لاَ نُخْرِجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى تُنْقَلَ عِظَامُهُ مَعَنَا.

فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مستفهمًا: أَيُّكُمْ يَدْرِي أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ؟

فَقَالَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: مَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَكَانَ قَبْرِهِ إِلاَّ عَجُوزٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. هذه المرأة وحدها من يعلم مكان هذا القبر الفريد.

أَرْسَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى المرأة العجوز من يقول لها: دُلِّينَا عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ.

قَالَتْ: لاَ وَاللهِ حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي. أشترط شرطًا حتى أدلَّك على قبر يوسف.

فَقَالَ لَهَا متعجبًا: مَا حُكْمُكِ؟

قَالَتْ بثباتٍ وثقةٍ في الله: حُكْمِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ.

يا الله! تكون رفيقة موسى بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ في الجنة بأن تدلهم على قبر يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

انظر إلى تلك المرأة العجوز وعلوِّ همتها، وسموِّ رغبتها، ما رغبت في الدنيا وبهجتها، ولا طمحت في الدنيا وزينتها، بل آثرت الباقي على الفاني، ولم تسبح طويلا في بحر الأماني.

وهكذا فلتكن الهمم فإن الله عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاَقِ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا[1].

تدبر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأمر فإذا هو ليس بيده، ففلان في الجنة لا تكون إلا بوحيٍ من الخبير العليم، وأحجم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فلم يأته أمرٌ بذلك، فأوحي إليه: أَعْطِهَا حُكْمَهَا.

فَأَعْطَاهَا حُكْمَهَا فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةٍ مُسْتَنْقِعَةٍ مَاءً، فَقَالَتْ لَهُمْ أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ فَلَمَّا أَنْضَبُوا قَالَتْ لَهُمْ: احْفِرُوا فَحَفَرُوا فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ، فَلَمَّا أَنْ أَقَلُّوهُ مِنَ الأَرْضِ إِذِ الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ.

---

(١) **حسن بشواهده:** أخرجه الحاكم (١/ ٤٨)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قلت: **في الباب** عن: علي، وجابر، وطلحة، وسعد، والحسين، وابن عباس، وفيها مقالٌ، لكنها تحسَّن بمجموعها.

وهنا نذكر موقف الصحابي الجليل ربيعة بن كعب الأسلمي، ذلكم الغلام الذي لازم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يريد من الدنيا متاعًا، ولا يبغي من رسول الله مالًا، بل يمتثل أمره ويخدمه في كل شأنه، راجيًا ثواب الله والجنة، لا يشغله إلا السعي لتلك المنة.

قَالَ رَبِيعَة بْن كَعْبٍ: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقُومُ لَهُ فِي حَوَائِجِهِ نَهَارِي أَجْمَعَ حَتَّى يُصَلِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فَأَجْلِسَ بِبَابِهِ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؛ أَقُولُ: لَعَلَّهَا أَنْ تَحْدُثَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَةٌ. فَمَا أَزَالُ أَسْمَعُهُ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، حَتَّى أَمَلَّ فَأَرْجِعَ، أَوْ تَغْلِبَنِي عَيْنِي فَأَرْقُدَ.

قَالَ: فَقَالَ لِي يَوْمًا لِمَا يَرَى مِنْ خِفَّتِي لَهُ، وَخِدْمَتِي إِيَّاهُ: سَلْنِي يَا رَبِيعَةُ أُعْطِكَ.

قَالَ: فَقُلْتُ: أَنْظُرُ فِي أَمْرِي يَا رَسُولَ اللهِ ثُمَّ أُعْلِمُكَ ذَلِكَ.

قَالَ: فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي فَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ زَائِلَةٌ، وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَكْفِينِي وَيَأْتِينِي.

قَالَ: فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لآخِرَتِي؛ فَإِنَّهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُوَ بِهِ.

قَالَ: فَجِئْتُ فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ يَا رَبِيعَةُ؟

قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ! أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلَى رَبِّكَ فَيُعْتِقَنِي مِنَ النَّارِ.

وفي رواية: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ.

قَالَ: فَقَالَ: مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا يَا رَبِيعَةُ؟

قَالَ: فَقُلْتُ: لاَ وَاللهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، وَلَكِنَّكَ لَمَّا قُلْتَ سَلْنِي أُعْطِكَ وَكُنْتَ مِنَ اللهِ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ نَظَرْتُ فِي أَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَزَائِلَةٌ وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَأْتِينِي، فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لآخِرَتِي.

قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوِيلاً ثُمَّ قَالَ لِي: إِنِّي فَاعِلٌ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ[1].

ربيعة شاب لم يتزوج، ولو طلب زوجة لعلَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفع له عند أحد أصحابه فيزوجه.

إنه فقير لا مال، ولو أراد المال لأعطاه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مالًا.

لقد كان همُّ ربيعة صحبة حبيبه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جنة الخلد، إذا أُعْطِي ذلك فعلى الدنيا السلام، فما فيها من متاعٍ لا يُرَامُ.

وهذا نص الحديث عن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أخرج الحاكم[2]، عن يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، أَنَّهُ تَلاَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ [الشعراء:٥٢] الآيَاتُ. فَقَالَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَعْرَابِيٍّ فَأَكْرَمَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعَهَّدْنَا ائْتِنَا.

قال: فَأَتَاهُ الأَعْرَابِيُّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا حَاجَتُكَ؟

فَقَالَ: نَاقَةٌ بِرَحْلِهَا، وَيَحْلِبُ لَبَنَهَا أَهْلِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَزَ هَذَا أَنْ يَكُونَ كَعَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ**».

فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: مَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَقَالَ: إِنَّ مُوسَى حِينَ أَرَادَ أَنْ يَسِيرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ضَلَّ عَنْهُ الطَّرِيقُ، فَقَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: مَا هَذَا؟

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٤/ ٥٩). وقد أخرج مسلم الحديث مختصرًا (٤٨٩).

(٢) **إسناده حسن**: أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٤)، بإسناد حسن. وأخرجه ابن حبان (٧٢٣) **والحاكم** (٢/ ٥٧١) بسندٍ حسن في الشواهد.

قَالَ: فَقَالَ لَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللهِ أَنْ لاَ نُخْرِجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى تُنْقَلَ عِظَامُهُ مَعَنَا.

فَقَالَ مُوسَى: أَيُّكُمْ يَدْرِي أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ؟

فَقَالَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: مَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَكَانَ قَبْرِهِ إِلاَّ عَجُوزٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ.

فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مُوسَى فَقَالَ: دُلِّينَا عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ.

قَالَتْ: لاَ وَاللهِ حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي.

فَقَالَ لَهَا: مَا حُكْمُكِ؟

قَالَتْ: حُكْمِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ.

فَكَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ، قَالَ فَقِيلَ لَهُ أَعْطِهَا حُكْمَهَا، فَأَعْطَاهَا حُكْمَهَا فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةٍ مُسْتَنْقِعَةٍ مَاءً،فَقَالَتْ لَهُمُ أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ فَلَمَّا أَنْضَبُوا قَالَتْ لَهُمْ: احْفِرُوا فَحَفَرُوا فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ، فَلَمَّا أَنْ أَقَلُّوهُ مِنَ الأَرْضِ إِذِ الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ.



كفى بالله شهيدًا وكفيلا

هذا خبرُ رجلين مؤمنين من بني إسرائيل، أمرهما عجيبٌ، وشأنُهما غريبٌ، لا ندري أيهما أقوى إيمانًا، وأعظم أمانةً.

أما الأول: فكان فقيرًا، لا يملك من الدنيا نقيرًا ولا قِطميرًا، لكنَّ الله ملأ قلبَه بالرضا والقناعة، وأداء الأمانة والحرص على الطاعة.

وأما الثاني فقد أفاض الله عليه بالخيرات، وأنزل عليه من السماء البركات، فما نَسِيَ فضل ربِّه عليه، فشكر نعمته، وتحاشى نقمته، وكان يُقرِض الناس ويتسامحُ معهم.

تمرُّ الأيامُ فيحتاج الرجل الفقير إلى مالٍ، فيذهب إلى الرجل الغني، فيسأله أن يسلفه ألف دينارٍ، فقال: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ. فالله يقول: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة:٢٨٢].

فَقَالَ الفقير: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج:١٧].

قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ. فأنا لا أعرفك، فأتني بأحدٍ يضمنك.

قَالَ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا.

قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! نَعَمْ، صَدَقْتَ.

نَعَمْ، كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، وكَفِيلًا.

دَفَعَ الرجل الغني المال إلى الفقير، وأشهدوا ربَّهم على عقدهم، واتفقا على سداد الدين في شهرٍ ويومٍ معلوم.

خرج الرجل الفقير بالمال، وركِب البحر يتَّجرُ في هذا المال؛ لعلَّه يجد رغيف خبزٍ، وقوت يومٍ، ورزق ولدٍ.

كان بين الرجلين بحرٌ لابد من جوازه[١] ليصلَ أحدهما إلى الآخر، ذهب صاحبنا إلى الشاطئ وقد جمع الألف دينارٍ، فإذا الأمواج قد علتْ، والرياح قد هبَّتْ، المراكب قد سكنتْ.

أخذ الرجل خشبةً فنحتها، وصنع ما يشبه صندوقًا، ثم وضع فيه الألف دينارٍ، وصحيفةً منه إلى صاحبه، وكَتَبَ فيها: مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ، إِنِّي دَفَعْتُ مَالَكَ إِلَى وَكِيلِي، ثُمَّ سَدَّ عَلَى فَمِ الْخَشَبَةِ، فَرَمَى بِهَا فِي عُرْضِ الْبَحر.

ثم قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاً، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا.

انْصَرَفَ الرجل وَهُوَ فِي لا يزال يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ به إِلَى بَلَدِ الرجل الغنيّ.

على الساحل الآخر كان صاحب المال يأتي لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ ويَسْأَلُ الناس عَنْ صاحبه، فَيَقُولُ الَّذِي يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ: تَرَكْنَاهُ بِمَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ رَبُّ الْمَالِ: اللَّهُمَّ اخْلُفْنِي فِي فُلَانٍ بِمَا أَعْطَيْتُهُ بِكَ.

نظر الرجل على شاطئ البحر فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله يحتطبون بها وهو لا يعلم ما بها، وقال: أَوْقِدُوا بِهَذِهِ. فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، فَقَرَأَهَا، فَعَرَفَ.

تمرُّ الأيام والرجلُ الآخر في بحثه الدؤوب عن مَرْكَبٍ ينقلُه إلى بلد صاحبه، فركب أول مركبٍ ومعه ألف دينارٍ أخرى حتى أتى الرجل الغنيّ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ.

---

(١) يعني عبوره.

قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟

قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ.

قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَكْثُرُ مِرَاؤُنَا وَلَغَطُنَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَنَا أَيُّهُمَا آمَنُ».

نعم، أيهما أكثر إيمانًا من الآخر؟

الأول: الذي أخذ المال، ولم يأتِ بشهيدٍ، وإنما جعل ربَّ العالمين له شهيدًا، فلمَّا حان الأجل ولم يجدْ ما يركبُ فيه إلى صاحب المال وضع المال في الخشبة وهو يعلم أنه قد لا يصل؛ ولذا ركب أول مركبٍ ومعه ألف دينارٍ أخرى.

أما الثاني فقد رَضِي بالله كفيلًا وشهيدًا، واستودع الله تعالى مالَه، فلما بعث إلي الرجل بالمالِ في الخشبة أخذها، وحين ذهب إليه الرجل بمالٍ آخر لم يقبلْه.

وصدق في هذين الرجلين قول ربنا الجليل: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران: ٧٥].

وقد قال ربنا آمرًا المؤمنين: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء:٥٨].

أما في زمانا فقد قل الأمين، وكثُر من يخون، وأصبح الناس يتبايعون فلا يكاد يؤدي أحدٌ الأمانة. قال حُذَيْفَة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ:

حَدَّثَنَا «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ».

وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ».

وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا اليَوْمَ: فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلاَنًا وَفُلاَنًا[1].

وهذا نص الحديث عن نبينا ﷺ:

أخرج البخاري معلقًا وأحمد موصولا[2]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، [حب: وكَانَ يُسْلِفُ النَّاسَ إِذَا أَتَاهُ الرَّجُلُ بِكَفِيلٍ].

فَقَالَ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا.

قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ.

قَالَ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا.

قَالَ: صَدَقْتَ [سُبْحَانَ اللهِ، نَعَمْ].

فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى.

فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ [فَرَكِبَ الرَّجُلُ الْبَحْرَ بِالْمَالِ يَتَّجِرُ فِيهِ، فَقَدَّرَ اللهُ أَنْ حَلَّ الْأَجَلُ، وَارْتَجَّ الْبَحْرُ بَيْنَهُمَا].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم في (١٤٣).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا في مواضع؛ منها: (٢٢٩١)، واللفظ له، ووصله أحمد (٢/ ٣٤٨)، وغيره بسندٍ صحيحٍ، وابن حبان (٦٤٨٧) بسند حسن، وما بين القوسين هو من رواية ابن حبان.

ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ [فَيَنْحَتُ خَشَبَةً، وَيَجْعَلُ المَالَ فِي جَوْفِهَا، ثُمَّ كَتَبَ صَحِيفَةً مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ، إِنِّي دَفَعْتُ مَالَكَ إِلَى وَكِيلِي، ثُمَّ سَدَّ عَلَى فَمِ الْخَشَبَةِ، فَرَمَى بِهَا فِي عُرْضِ الْبَحْرِ]، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا.

ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى البَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ [اسْتَسْلَفْتُ مِنْ فُلَانٍ]، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا.

فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ.

فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ [وَجَعَلَ رَبُّ المَالِ يَأْتِي السَّاحِلَ يَسْأَلُ عَنْهُ، فَيَقُولُ الَّذِي يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ: تَرَكْنَاهُ بِمَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ رَبُّ المَالِ: اللَّهُمَّ اخْلُفْنِي فِي فُلَانٍ بِمَا أَعْطَيْتُهُ بِكَ]، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا [وقَالَ: أَوْقِدُوا بِهَذِهِ]، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ [فَقَرَأَهَا، فَعَرَفَ].

ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ.

قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟

قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ.

قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ دِّينَارِ رَاشِدًا.

[قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَكْثُرُ مِرَاؤُنَا وَلَغَطُنَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَنَا أَيُّهُمَا آمَنُ].

عابد بني إسرائيل

كان جريج تاجرًا في بني إسرائيل، وكان من أتباع عيسى بن مريم، كانت تجارته تنقص مرة وتزيد أخرى، وهكذا حال الدنيا ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾. [آل عمران: ١٤٠]

فقال جريج: مَا فِي هَذِهِ التِّجَارَةِ خَيْرٌ؛ لأَلْتَمِسُ تِجَارَةً هِيَ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ.

فَبَنَى صَوْمَعَةً(١)، وَتَرَهَّبَ فِيهَا. قال الله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٧].

وكانت له أمٌّ تأتيه فتناديه فيشرف عليها فيكلمها، وتكتفي من الجلوس معه بنظرةٍ ومن الحديث إليه بكلمة، فأتته ذات يومٍ، وهو في صلاته فوضعت يدها على حاجبها ونادته فقالت: يَا جُرَيْجُ! أَيْ بُنَيَّ! أَشْرِفْ عَلَيَّ أُكَلِّمْكَ، أَنَا أُمُّكَ.

فقال: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي. يَا رَبِّ اجتمع عليّ إجابة أمي وإتمام صلاتي فوفقني لأفضلهما.

تردد قليلًا ثم قال: أوثر صلاتي على أمي. فاختار صلاتَه فرجعت أمُّه ولم تَرَه.

ثم أتته في اليوم الثاني فصادفته يصلي فقالت: يَا جُرَيْجُ! أَيْ بُنَيَّ! أَشْرِفْ عَلَيَّ أُكَلِّمْكَ، أَنَا أُمُّكَ.

فقال: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي. تردد قليلًا ثم قال: أوثر صلاتي على أمي. فاختار صلاته، فرجعت أمُّه ولم تَرَه.

---

(١) والصومعة هي البناء المرتفع المحدد أعلاه.

وكما يقال: لَوْ كَانَ جُرَيْجٌ الرَّاهِبُ فَقِيهًا عَالِمًا لَعَلِمَ أَنَّ إِجَابَتَهُ أُمَّهُ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ. فبرُّ الوالدين فرض، وكان جريج يصلي نفلًا.

ثم أتته في اليوم الثالث فصادفته يصلي فقالت: يَا جُرَيْجُ! أَيْ بُنَيَّ! أَشْرِفْ عَلَيَّ أُكَلِّمْكَ، أَنَا أُمُّكَ.

فقال: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي. تردد قليلًا ثم قال: أوثر صلاتي على أمي. فاختار صلاته، فرجعت أمُّه ولم تَرَه.

فَغَضِبَتْ، وعند الغضب يذهب العقل، وتضيع الحكمة؛ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ»[1].

غَضِبَت الأم فَقَالَتْ: اللهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ[2]. أَبَيْتَ أَنْ تُطْلِعَ إِلَيَّ وَجْهَكَ؛ لَا أَمَاتَكَ اللهُ حَتَّى تَنْظُرَ فِي وَجْهِكَ زَوَانِي المَدِينَةِ.

وتأمَّل في دعوتها؛ دعت أن يرى وجوه الزانيات، ولم تدع عليه بالزنا، وهذا من لطف الله بعبده جريج، ومن هنا تعلم أنَّ رؤية أهل الفساد والضّلال من البلاء والشقاء.

وقد قال نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُم، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»[3].

فَذَكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِبَادَةَ جُرَيْجٍ، فحسدوه على ما منَّ الله عليه نعمة، وأرادوا أن تحلَّ به النقمة، وهذه طريقتهم مع كل صالح، كما قال الله: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم** ﴾ [البقرة: ١٠٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٥٨)، ومسلم (١٧١٧).

(٢) **المومسات**: الزانيات.

(٣) أخرجه مسلم (١٧١٧).

كَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، ويتحدث الناس بجمالها، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، ولأوقعنَّه في الفاحشة.

قَالُوا: قَدْ شِئْنَا. افعلي ما تستطيعين لإهلاك هذا العابد.

وهكذا الأشقياء المفسدون، لا يبغون لأحدٍ فلاحًا، ولا يتمنون لأحدٍ صلاحًا ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ [النساء:٢٧]. فالزاني يريد كل الناس زناه، والسارق يريد كل الناس سارقين، وكما قال قوم لوط: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل:٥٦].

تَعَرَّضَتْ المرأة الحسناء لَلعابد وهو من الناس في خلاء، لكنه ما نسي رب الأرض والسماء، وكان الله قد ملأ قلبَه حبًا للإيمان، وبغضًا لمسالك الشيطان، فَلَمَّا تَعَرَّضَتْ المرأة لم يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا.

ويقال: أن هذه البغي كَانَتْ بِنْتَ مَلِكِ الْقَرْيَةِ، خرجت من دار أبيها بغير علم أهلها متنكرةً، فكانت تعمل الفساد إلى أن ادَّعت أنها تستطيع أن تفتن جريجًا فاحتالت بأن خرجت في صورة راعيةٍ ليمكنها أن تأوي إلى ظل صومعته لتتوصل بذلك إلى فتنته فلم تستطعْ.

فمكنت نفسها من راعي غنمٍ كان بجوار صومعة جريح فَوَقَعَ عَلَيْهَا فحملت، فَأُخِذَتْ وَكَانَ مَنْ زَنَى مِنْهُمْ قُتِلَ، قَالُوا: مِمَّنْ؟

قَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ صَاحِبِ الصَّوْمَعَةِ، نزل إلى من صومعته فأصابني.

لم يتثبت الناس من كلام الفاجرة، ولم يسمعوا من جريج، فَذَهَبُوا إِلى المَلك فَأَخبَرُوه، فقال: فَأَنزِلُوه، وأْتُوني به، واكسِرُوا صَومعَتَهُ.

أتى الناس جريجًا بفئوسهم ومساحيهم فنادوه فلم يكلّمْهم، قالوا: أَيْ جُرَيْجُ! أَيْ مُرَاءٍ! انْزِلْ، فَأَبَى وَأَقْبَلَ عَلَى صَلاَتِهِ يُصَلِّي.

وفجأة سمع جريج صوت الفؤوس في أصل صومعته وهم يهدمونها، فجعل يسألهم: وَيْلَكُمْ مَا لَكُمْ؟ فَاسْتَنْزَلُوهُ، وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، وَسَبُّوهُ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟

قالوا: مُرَاءٍ مُخَادِعٌ النَّاسَ بِعَمَلِكَ، زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ.

وشمت العامة الجهال في العابد التقي، العفيف النقيّ، نعوذ بالله من شماتة أهل الباطل في الصالحين.

فأخذوه، فَجَعَلُوا فِي عُنُقِهِ وَعُنُقِهَا حَبْلاً، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِمَا فِي النَّاسِ.

فلما رآه الملك قال له: وَيْحَكَ يَا جُرَيْجُ! كُنَّا نَرَاكَ خَيْرَ النَّاسِ فَأَحْبَلْتَ هَذِهِ، اذْهَبُوا بِهِ فَاصْلُبُوهُ.

فيروى: أنه لَمَّا مَرَّ فَتَحُوا بَابَ الزَّوَانِي حَتَّى أُخْرِجْنَ يَضْحَكْنَ بِهِ، فَتَبَسَّمَ فَقَالُوا معرِّضين: لِمَ تَضْحَكِ الْيَوْمَ حَتَّى مَرَرْتَ بِالزَّوَانِي؟

قال لهم: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ.

تَوَضَّأَ جريج وَصَلَّى، وَدَعَا ربَّه.

وهكذا المؤمن في وقت المحنة والشدة يلجأ إلى لابه ومولاه، ويكون إليه مفزعه ومشتكاه. وقد قال ربنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة:١٥٣].

وفي حديث صهيب الآتي أن الله أَوْحَى إِلَى أحد الأنبياء: اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوِ الْجُوعَ، أَوِ الْمَوْتَ. قَالَ: فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ، نَكِلُ ذَلِكَ إِلَيْكَ، فَخِرْ لَنَا. قَالَ: فَقَامَ إِلَى صَلَاتِهِ. قَالَ: وَكَانُوا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ[(١)].

ويروى أن رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلى[(٢)].

(١) **صحيح**: يأتي بمشيئة الرحمن.

(٢) **حسن بشواهده**: أخرجه أبو داود (١٣١٩)، وأحمد (٥/ ٣٨٨)، عن حُذَيْفَة بسندٍ فيه محمد بن أبي قدامة مقبول. وفي الباب عن: عبد الله بن سلام بسندٍ فيه ضعف، وأبي سعيد بسندٍ ضعف جدًّا.

فرَغ العابد من الصلاة، ثم قال: أَيْنَ هَذِهِ الَّتِي تَزْعُمُ أَنَّ وَلَدَهَا لِي؟

أتى الناس بالصَّبِيِّ وَفَمُهُ فِي ثَدْيِ أمه فطَعَنَ جريج فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ! يَا بَابُوسُ! مَنْ أَبُوكَ؟

نَزَعَ الْغُلَامُ فَاهُ مِنَ الثَّدْيِ، وقَالَ: أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ.

ويروى: أنه مَشَى إِلَى شَجَرَةٍ فَأَخَذَ مِنْهَا غُصْنًا، ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ وَهُوَ فِي مَهْدِهِ، فَضَرَبَهُ بِذَلِكَ الْغُصْنِ، وَقَالَ: يَا طَاغِيَةُ! مَنْ أَبُوكَ؟

فأبرأ الله جريجًا وسبَّح الناس وعجِبوا وأعظَموا أمر جريجٍ، فوثبوا إليه فجعلوا يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ.

وهكذا يجيب الله دعاء المضطرين، ويسمع لنداء عباده المؤمنين. ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

لِيبشر المؤمنون الصادقون، العابدون المخلصون؛ فالله معهم يفرِّج الكربات، ويكشف البليّات، ويقضي الحاجات. ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢].

قال الناس والملك لجريج العابد الصادق: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ.

قال: لَا.

قالوا: مِنْ فِضَّةٍ؟

قال: لَا أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ.

فردوها فرجَعَ في صَومعتِهِ، فَقالوا: باللهِ مِمَّ ضَحكتَ؟

قالَ: ما ضحكتُ إلا مِن دعوةٍ دعَتْها عليَّ أُمي.

وهذا نص الحديث عن نبينا ﷺ:

أخرج الشيخان[١]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ.**

وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا.

[حم: كَانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ تَاجِرًا، وَكَانَ يَنْقُصُ مَرَّةً وَيَزِيدُ أُخْرَى؛ قَالَ: مَا فِي هَذِهِ التِّجَارَةِ خَيْرٌ؛ لأَلْتَمِسُ تِجَارَةً هِيَ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ. فَبَنَى صَوْمَعَةً، وَتَرَهَّبَ فِيهَا، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: جُرَيْجٌ].

فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي[٢]، **فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ!** [حم: أَيْ جُرَيْجُ! أَيْ بُنَيَّ! أَشْرِفْ عَلَيَّ أُكَلِّمْكَ، أَنَا أُمُّكَ]

فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ!

فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ!

فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ[٣].

فَقَالَتْ: اللهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع؛ منها: (١٢٠٦، ٢٤٨٢، ٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠)، وأحمد (٢/ ٤٣٤) بسند حسن، و(٢/ ٣٨٥) بسند صحيح، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٤٩٥) بسند لا بأس، والمخلص في المخلصيات (٤١٦) بسند حسن، والسياق لمسلم، وما بين القوسين عند من ذكرتهم.

(٢) الطبراني في «الأوسط» (٧٤٩٨) بسند ضعيف: «فَكَانَتْ تَأْتِيهِ فَتُنَادِيهِ، فَيُشْرِفُ عَلَيْهَا فَيُكَلِّمُهَا، فَأَتَتْهُ يَوْمًا وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ مُقْبِلٌ عَلَيْهَا».

(٣) في شعب الإيمان (٧٤٩٦) عن حَوْشَبٍ الْفِهْرِيِّ مرفوعًا: «لَوْ كَانَ جُرَيْجٌ الرَّاهِبُ فَقِيهًا عَالِمًا **لَعَلِمَ أَنَّ** إِجَابَتَهُ أُمَّهُ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ». وإسناده ضعيفٌ جدًّا.

(٤) الأوسط: «فَغَضِبَتْ، فَقَالَتْ». =

فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ.

[شعب: فَذَكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِبَادَةَ جُرَيْجٍ، فَقَالَتْ بَغِيٌّ مِنْهُمْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ. قَالُوا: قَدْ شِئْنَا](١).

قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا [خ: وَكَانَتْ تَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ رَاعِيَةٌ تَرْعَى الْغَنَمَ]، **فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ.**

فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ. [حم: فَأُخِذَتْ، وَكَانَ مَنْ زَنَى مِنْهُمْ قُتِلَ، قَالُوا: مِمَّنْ؟ قَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ صَاحِبِ الصَّوْمَعَةِ].

فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ، وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ [خ: وَسَبُّوهُ]، **وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟**

قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ [م: فَأَقْبَلُوا بِفُئُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ إِلَى الدَّيْرِ، فَنَادَوْهُ فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ، فَأَقْبَلُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ.

حم (٢/ ٣٨٥): فَقَالُوا: أَيْ جُرَيْجُ، أَيْ مُرَاءٍ، انْزِلْ، فَأَبَى وَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ يُصَلِّي، فَأَخَذُوا فِي هَدْمِ صَوْمَعَتِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ، فَجَعَلُوا فِي عُنُقِهِ وَعُنُقِهَا حَبْلًا، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِمَا فِي النَّاسِ(٢).

= الأحاديث الطوال (٤٥) بسندٍ ضعيفٍ: «فَقَالَتْ: أَبَيْتَ أَنْ تُطْلِعَ إِلَيَّ وَجْهَكَ؛ لَا أَمَاتَكَ اللهُ حَتَّى تَنْظُرَ فِي وَجْهِكَ زَوَانِي الْمَدِينَةِ».

(١) في رواية: وكَانَتْ بِنْتَ مَلِكِ الْقَرْيَةِ. ذكرها في «الفتح»، ولم أقف عليها.

(٢) «الأوسط»: «فَمَا شَعَرَ جُرَيْجٌ حَتَّى سَمِعَ بِالْفُئُوسِ فِي أَصْلِ صَوْمَعَتِهِ، فَجَعَلَ يَسْأَلُهُمْ، وَيْلَكُمْ مَا لَكُمْ؟ فَلَمْ يُجِيبُوهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَخَذَ الْحَبْلَ فَتَدَلَّى».

عقيلي (٤/ ١٥٢): «فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ وَيْحَكَ يَا جُرَيْجُ كُنَّا نَرَاكَ خَيْرَ النَّاسِ فَأَحْبَلْتَ هَذِهِ، **اذْهَبُوا بِهِ فَاصْلُبُوهُ**».

«الأوسط»: «فَجَعَلُوا يَجُثُونَ أَنْفَهُ، وَيَضْرِبُونَهُ، وَيَقُولُونَ: مُرَاءٍ تُخَادِعُ النَّاسَ بِعَمَلِكَ». =

فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى [خ: فَتَوَضَّأَ، وَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى الغُلَامَ].

فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ [خ: قَالَ جُرَيْجٌ: أَيْنَ هَذِهِ الَّتِي تَزْعُمُ أَنَّ وَلَدَهَا لِي؟ قَالَ: يَا بَابُوسُ، مَنْ أَبُوكَ؟]

قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي(1). [المخلصيات: فَأُتِيَ بِالْمَرْأَةِ وَالصَّبِيِّ وَفَمُهُ فِي ثَدْيِهَا، فَقَالَ لَهُ جُرَيْجٌ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ فَنَزَعَ الْغُلَامُ فَاهُ مِنَ الثَّدْيِ، وَقَالَ: أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ].

قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟

قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا

[المخلصيات: فرجَعَ في صَومعتِهِ، فَقالوا: باللهِ مِمَّ ضَحكتَ؟ قالَ: ما ضحكتُ إلا مِن دعوةٍ دعَتْها عليَّ أُمي].



= الأحاديث الطوال: «فَلَمَّا مَرَّ فَتَحُوا بَابَ الزَّوَانِي حَتَّى أُخْرِجْنَ يَضْحَكْنَ بِهِ، فَتبَسَّمَ فَقَالُوا: لَمْ تَضْحَكِ الْيَوْمَ حَتَّى مَرَرْتَ بِالزَّوَانِي؟».

(١) «الأوسط»: «ثُمَّ مَشَى إِلَى شَجَرَةٍ فَأَخَذَ مِنْهَا غُصْنًا، ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ وَهُوَ فِي مَهْدِهِ، فَضَرَبَهُ بِذَلِكَ **الْغُصْنِ**، وَقَالَ: يَا طَاغِيَةُ! مَنْ أَبُوكَ؟».

صدقة على سارق

كان رجلٌ من بني إسرائيل محبًّا للإنفاق، ولأنَّ صدقة السرِّ أفضلُ من صدقة العلانية فقد خرج الرجل ذات ليلةٍ وقد عزم أن يعطِيَ صدقته أولَ من يلقاه. ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في السبعة الذين يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ**»[١].

خرج الرجل فلقي امرأةً بطريقه فأعطاها الصدقة، ثم رجع إلى داره.

أصبح الصباح فصار الناس يتحدثون: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ.

يا الله! لقد كانت المرأة زانية.

حزن الرجل على وقوع صدقته في يد زانيةٍ، لكنَّه حَمِدَ الله وعزم على صدقةٍ ثانيةٍ، وقال: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ.

خرج الرجل بصدقته في الليلة الثانية فلقي رجلًا فوضع الصدقة في يده، ثم رجع إلى بيته راشدًا.

أصبح الناس يتحدثون: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ.

يا الله! لقد كانت الصدقة على رجلٍ غنيٍّ.

حزن الرجل على وقوع صدقته في يد غنيٍّ، لكنَّه حَمِدَ الله وعزم على صدقةٍ ثانيةٍ، وقال: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غنيٍّ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ.

خرج الرجل بصدقته في الليلة الثالثة فلقي رجلًا فوضع الصدقة في يده، ثم رجع إلى بيته.

أصبح الناس يتحدثون: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ.

يا الله! لقد كانت الصدقة على رجلٍ سَارِقٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

حزن الرجل على وقوع صدقته في يد سَارِقٍ، لكنَّه حَمِدَ الله وعزم على صدقةٍ ثانيةٍ، وقال: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ.

فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، فلا تحزن ولا تبأس، فإنَّ الله يأخذُ صدقة العبد بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ[1].

وأما الزانية فلعلَّها فعلتِ الفاحشة لحاجتها إلى المال، فإذا أعطيتها الصدقة فلعلَّها تستعفُّ بها عن زناها.

وأما الغنى فلعلَّه يأخذ عبرةً وعظةً منك فيقتدي بك وينفق مما أعطاه الله.

وأما السارق فلعلَّه سرق لحاجته الشديدة إلى المال، أما وقد أعطيته فلعله يستعف.

وهذا نص الحديث عن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أخرج الشيخان[2]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**قَالَ رَجُلٌ لأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ** [حم: إِنَّ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ: لأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِمَالِي]، **فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، قَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ.**

فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، قَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ، لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ.

فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ.

فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ».

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢)، وأحمد (٢/ ٣٥٠).

صوتٌ في سَحَابَةٍ

بينما رجلٌ ممن كان قبلنا بفلاةٍ من الأرض ومكانٍ خالٍ، إذْ سمِع رعدًا في سحابٍ، فسمع فيه كلامًا: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ.

تنحى السَّحاب، فنزلتِ الأمطار في أرض بها حجارةٌ سوداء كثيرةٌ، وإذا أحد مسايل الماء قد استوعب ذلك المَا كلَّه.

سار الرجل خلف الماء، فإذا هو برجلٍ قائمٍ في حديقته، يحوِّل الماء بمسحاته، وإذا الماء لم ينزل إلا على حديقة هذا الرجل. تعجب الرجل فسأل: يَا عَبْدَ اللهِ! مَا اسْمُكَ؟

قَالَ: فُلَانٌ - لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ.

عجِبَ الآخر فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ! لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟

فأجاب الرجل في دهشةٍ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟

قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَأَجْعَلُه فِي المُسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ».

وصدق ربنا القدير: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩]. وصدق نبيُّنا الأمين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

وهذا نص الحديث عن نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ:

أخرج مسلم[١]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ،** [طيالسي: إِذْ سَمِعَ رَعْدًا فِي سَحَابٍ، فَسَمِعَ فِيهِ كَلَامًا]: **اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ.**

قال: فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟

قَالَ: فُلَانٌ - لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ -.

فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟

فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟

قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، [طيالسي (٢٧١٠): وَأَجْعَلُ ثُلُثًا فِي الْمَسَاكِينِ، وَالسَّائِلِينَ، وَابْنِ السَّبِيلِ]، **وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ**».



(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٤)، والطيالسي (٢٧١٠) بسند صحيح. «فَتَنَحَّى»: قصد. «حَرَّةٍ»: أرض بها حجارة سود كثيرة. «شَرْجَةٌ»: مسايل الماء في الحرار.

يتكلمون في المهد

أمَّا المشهد الأول:

فقد كان ملكٌ في الأزمان الغابرة، تجبَّر، وتكبَّر، وبطش بالعباد، وعاث في الأرض الفساد، وذاق المسلمون منه عذابًا واضطهادًا؛ فأمر في كل طريقٍ بالأخدود فخدَّتْ، وأمر بالنيران فأُضرِمَتْ، وقال لأعوانه وأتباعه من الظَّلَمة: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا.

قام الجبابرة فأخذوا المؤمنين المستضعفين، فألقوا بهم في النيران وأذاقوهم العذاب المهين. وكان من هؤلاء المؤمنين امرأةٌ آمنتْ بربِّها، وثبتتْ على دينها، فأتتْ ومعها ابنٌ لها ترضعه، فخافت أن يُلقَى بها في النار هي وولدها، خافت على رضيعها الصغير، فكأنَّها تقاعست، وترددت.

فأنطق اللهُ ولدَها الرضيع وهو في مهده: يَا أُمَّهْ! اصْبِرِي؛ فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ.

نعم، لما ثبتت على دينها، وضحَّت في سبيل الله بنفسها، أنطق الله رضيعها، وصدق ربنا الجليل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧]. ولذا فقد كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»(١).

فيا رب يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلوبنا عَلَى الإيمان،
واختم لنا بالرضوان،
وأسعدنا بسكنى الجنان.

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وابن ماجه (٣٨٣٤)، عن أنس. وفي مسلم (٢٦٥٤)، عن ابن عمرو: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

وأمَّا المشهد الثاني:

فقد كانتِ امرأة من بني إسرائيل ترضع ابنًا لها، وبينما هي كذلك إذْ مرَّ بها راكبٌ ذو شارةٍ ومنظرٍ حسنٍ، وعليه مهابةٌ ووقار، وآثار نعمةٍ ظاهرةٍ، وهو في موكبه يتمخطر، وبَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلاَءِ، خُسِفَ بِهِ[(١)].

خُدِعتِ الأُمُّ بالمنظر والمظهر، وقالت: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ.

اغترَّتْ بزينة الحياة الدنيا وخُدِعتِ، كما خُدِع أهل الدنيا من قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بقارون لعنه الله، وقالوا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص:٧٩].

لم يعجب كلامُ الأم ولدها الرضيع؛ فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُم لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ.

تعجبتِ الأم، لكنها اكتفت بالسكوت، وآثرت عدم النطق والصموت.

مضى وقتٌ ليس بالطويل والولد يرضع من ثدي أمه، ثُمَّ مرَّ بهم أَمَةٌ، وأناسٌ لها يضربون، ومن شعرها يجرُّون، وبها يلعبون. هالَ الأمَّ ما رأتْ، ولم تتمالك نفسَها فدعت، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ.

غضب الولد فَتَرَكَ ثَدْي أمِّه، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا.

تعجَّبتِ الأم، ما هذا الولد الغريب العجيب؟

رضيعٌ في مهده يتكلَّم؟

وحينما يتكلَّم يقول هذا الكلام!

سألتِ الأم ولدها في دهشةٍ: لِمَ ذَاكَ؟ أخبرني بسبب رفضك تلك الدعوات، فما خرجت إلا من قلب أمٍّ تمنَّت لك الخيرات، ورجت لك أسمى الأمنيات.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٥).

فَقَالَ لها: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ. وفي روايةٍ للبخاري: فَإِنَّهُ كَافِرٌ.

وقد قال ربنا: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم:١٥]. وقال نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَحَاجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ، وَسَقَطُهُمْ، وَعَجَزُهُمْ..**»(١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَومَ القِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ**»(٢).

وَهَذِهِ الأَمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ وَتَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ.

يَقُولُونَ: زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ وَتَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ.

اتهمها الناس في عرضها، ودنسوها في شرفها، وافتروا عليها الكذب، فأوكلت أمرها إلى ربها، وقالت: حسبي الله هو يكفيني، ومن كل سوء يحميني، وإلى الثبات على ديني يهديني، ولجنة الخلد يؤويني.

وهكذا ينخدع كثيرٌ من الناس بما يرون من مظهرٍ ومنظرٍ، ولو كشف الله لهمُ الحجاب لعلموا أنَّ الأمر خلاف ما يظنُّون، وعلى غير ما يعقدون.

إنك ترى الرجل على وجهه نضرة النعيم، وقد كتبه الله في أهل الجحيم.

وترى الرجل قد شَقِيَ في حياته، فتحسبه بائسًا ما تحقَّق شيءٌ من أمنياته، وقد كتبه الله من السعداء في الدنيا وبعد مماته. ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم:٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٥٧٤) وأحمد (٢/ ٣٣٦)، وأعله بعضهم.

وأمَّا المشهد الثالث:

فإنه لما أسري بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبينما هو مع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ أتت عليه رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، قال: يَا جِبْرِيلُ! مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟

فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا.

قَالَ: وَمَا شَأْنُهَا؟

فحكى له الحكاية الآتية:

كانت لابنة فرعون ماشطةٌ، وبَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتِ الْمِدْرَى[1] مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللهِ.

فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ بزهوٍ وفرحٍ: أَبِي؟

قَالَتْ بثباتٍ وإيمانٍ: لَا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللهُ.

قَالَتْ بتهديدٍ ووعيدٍ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ؟

قَالَتْ بثقةٍ في الله: نَعَمْ.

جاءت ابنة فرعون فَأَخْبَرَتْ أباها بما حدث فَدَعَا بالماشطة، فَقَالَ: يَا فُلانَةُ! وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي؟

قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ.

توعدها فرعون بالعذاب، وخوفها العقاب، فثبتها الله على الإيمان، أَمَرَ الطاغية بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُلْقَى الماشط هِيَ وَأَوْلادُهَا فِيهَا.

التفتت الماشطة إلى فرعون وقَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً هل تقضيها؟

قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟

قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَتَدْفِنَنَا معًا.

---

(١) **الْمِدْرَى**: مَا يعْمل من حَدِيد أَو خشب على شكل سنّ من أَسْنَان الْمُشْط، يسرح بِهِ الشّعْر.

قَالَ: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الحَقِّ.

فَأَمَرَ الطاغية بِأَوْلادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَاحِدًا وَاحِدًا، وهي تنظر وتشاهد، قذف الجنود الأولاد في العذاب إِلَى جاء دور صَبِيٍّ يرضع، فتحركت عاطفة الأمومة وخافت الأم أن يلقى بولدها الرضيع في النار، فكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ،.

لكنَّ الله أراد لها الثبات حتى المات، والفوز بالدرجات العلى في الجنَّات، فأنطق لأجلها الغلام الرضيع؛ فقَالَ: يَا أُمَّهْ، اقْتَحِمِي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاقْتَحَمَتْ».

وهكذا ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، فمن عاش على الإيمان، ختم الله له بالرضوان، وثبَّته في مواطن الاختبار والامتحان.

والجزاء من جنس العمل، وعلى قدر ما تبذل يكون الأمل، قدمت المرأة نفسها وأولادَها في سبيل الله، فأحسن الله مكافئتها في اليوم الموعود، وأورثها جنات الخلود.

وصدق الولد الرضيع: عَذَاب الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ؛ فأين عذاب الدنيا من عذاب الآخرة، وقد قال نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: «**فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا**»[١].

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

وهذا نص الوراد عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

في قصة أصحاب الأخدود: عَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ.. فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ.**

فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ! اصْبِرِي؛ فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»[١].

وفي لفظ: «**فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا تُرْضِعُهُ، فَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِي النَّارِ، فَقَالَ الصَّبِيُّ: يَا أُمَّهْ! اصْبِرِي، فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ**»[٢].

وأخرج الشيخان[٣]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى.**

وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ..

وَكَانَتِ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ[٤] **ذُو شَارَةٍ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ.**

فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُم لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ».

قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٧) بسندٍ صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في مواضع؛ منها (٣٤٣٦) واللفظ له، ومسلم (٢٥٥٠)، وأحمد (٢/ ٣٠٧) بسند صحيح.

(٤) حم (٢/ ٣٩٥) بسند منقطع: «فَارِسٌ مُتَكَبِّرٌ».

ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ [حم: تُضْرَبُ. خ: تُجَرَّرُ وَيُلْعَبُ بِهَا]، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ.

فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا.

فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟

فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ [خ: فَإِنَّهُ كَافِرٌ].

وَهَذِهِ الأَمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ، زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ».

[خ: يَقُولُونَ لَهَا: تَزْنِي، وَتَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ، وَيَقُولُونَ لَهَا: تَسْرِقُ، وَتَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟**

فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا".

قَالَ: "قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟

قَالَ: بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتِ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللهِ. فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟

قَالَتْ: لا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللهُ.

قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ؟

قَالَتْ: نَعَمْ.

فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا، فَقَالَ: يَا فُلانَةُ، وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي؟

قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ.

فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلادُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً.

قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟

قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَتَدْفِنَنَا.

قَالَ: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الحَقِّ».

قَالَ: «فَأَمَرَ بِأَوْلادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَاحِدًا وَاحِدًا، إِلَى أَنِ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ، كَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّهْ، اقْتَحِمِي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاقْتَحَمَتْ».

قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ»(١).



(١) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٥/ ٣٠)، ابن حبان (٢٩٠٣). قلت: وقد اختلف العلماء في سماع **حماد بن** زيد عن عطاء، والصحيح عندنا أنه سمع قبل الاختلاط.

ثلاثة في غـار

كانوا ثلاثة رجال ممن كان قبلنا، يقال: إنهم كانوا من بني إسرائيل، خرج الرجال الثلاثة يمشون في أرض الله الواسعة، وبينما هم يسيرون أرخى الليل ستوره، ونزل مطر غزير، نظروا حولهم فوجدوا غارًا في جبل، فدخلوا فيه كي يبيتوا ليلتهم.

وفجأة!!

وَقَعَت صخرة عظيمة منَ أعلى الْجَبَلِ، مِمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، فسَدَّت عليهم باب الْغَارِ.

نعم، هبطت صخرة مِمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وهل الصخور تخشى ربها؟

نعم، ألم تسمع لقول ربنا: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٧٤]؟

ما أغفل ابن آدم! يتجرأ على ربه، وإن كل شيءٍ في الكون لخاشع لأمره، ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر:٢١].

علم الرجال أنه لا قبل لهم بتلك الصخرة العملاقة، وأيسوا من الخروج، وتيقنوا أنه لا منجي من الكربات إلا رب البريات، ولا منقذ من المهالك إلا رب الممالك.

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢].

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ﴾ [الأنعام:٦٣-٦٤].

نظر الرجال بعضهم إلى بعضٍ، وقالوا: وَقَعَ الْحَجَرُ، وَعَفَا الأَثَرُ، وَلاَ يَعْلَمُ بِمَكَانِكُمْ إِلاَّ اللهُ، وإِنَّهُ وَاللهِ يَا هَؤُلاَءِ، لاَ يُنْجِيكُمْ من هذه الصخرة إِلَّا الصِّدْقُ، لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ.

فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، تَفَكَّرُوا فِي أَحْسَنِ أَعْمَالِكُمْ، فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّ اللهَ يُفَرِّجُ عَنْكُمْ، إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا شَيْئًا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَدْعُوَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ بِخَيْرِ عَمَلٍ عَمِلَهُ قَطُّ».

وهكذا الأعمال الصالحات تنجي صاحبها بفضل الله في المحن والملمات، وتنقذه في الشدائد والبليات، واعتبر بقول الله في يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤]، وقوله في يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف:٢٤].

وبدأ كل واحدٍ من الأبطال الثلاثة يبحث ويفتش في حياته الطويلة عن أفضل عملٍ عمله، صدق فيه مع مولاه، وأخلص له النية ورجى رضاه.

أما الأول فحكى القصة الآتية:

كان لصاحبنا أرضٌ، وكان يأتي برجالٍ يستأجرهم لحرثها وزراعتها، فأتاه يومًا ما أجراء فحرثوا له في أرضه، واتفقوا على نصف درهم، فأعطى كل واحدٍ منهم أجرته، غير رجل واحدٍ، لما جاء يعطيه أجرته أبى ورفض، وقال: إنما عملت عمل رجلين اثنين، أنا أستحق أكثر من هذا، لا آخذ إلا درهما.

اختصم الرجلان، فذهب الأجير غاضبًا، وترك أجرته.

ويروى أنه قال: فَجَاءَنِي رَجُلٌ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَطَ النَّهَارِ، فَاسْتَأْجَرْتُهُ بِشَرْطِ أَصْحَابِهِ، فَعَمِلَ فِي بَقِيَّةِ نَهَارِهِ، كَمَا عَمِلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي نَهَارِهِ كُلِّهِ، فَرَأَيْتُ عَلَيَّ أَنْ لاَ أُنْقِصَهُ مِمَّا

اسْتَأْجَرْتُ بِهِ أَصْحَابَهُ، لِمَا جَهِدَ فِي عَمَلِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: أَتُعْطِي هَذَا مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَنِي وَلَمْ يَعْمَلْ إِلَّا نِصْفَ نَهَارٍ؟

فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ! لَمْ أَبْخَسْكَ شَيْئًا مِنْ شَرْطِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ مَالِي أَحْكُمُ فِيهِ مَا شِئْتُ، قَالَ: فَغَضِبَ، وَذَهَبَ، وَتَرَكَ أَجْرَهُ.

أخذ صاحبنا أجرةَ هذا الأجير، وكانت تعادل فرق أرزٍ(1)، نما الزرع وحصد مالًا، فاشترى صاحبنا شاةً، فولَّدتْ، ونما المال وبورك فيه، حتى صار هناك قطيعٌ من الإبل، والبقر، والغنم، والعبيد.

تمر الأيام، ويحتاج الأجير لمالٍ، فيذكُرُ أنَّ له مالًا عند صاحبنا فيأتي إليه، ويقول:
يَا عَبْدَ اللهِ! اتق اللهو وأعطني أجري.
قال: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ؛ مِنَ الإِبِلِ، وَالبَقَرِ، وَالغَنَمِ، وَالرَّقِيقِ.
«فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لاَ تَسْتَهْزِئُ بِي.
قال: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ.
فَاسْتَاقَ الرجل كلَّ هذه الثروة العظيمة، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْها شَيْئًا.
قال: فَأَعْطَيْتُهُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَلَوْ شِئْتُ لَمْ أُعْطِهِ إِلَّا الْأَجْرَ الْأَوَّلَ.
فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ، وَمَخَافَةَ عَذَابِكَ، وَابْتِغَاءَ وَجْهِكَ وَمَرْضَاتِكَ، ورَجَاءَ رَحْمَتِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا.
فَفَرَّجَ اللهُ مِنْهَا فُرْجَةً، وانساحت الصخرة شيئًا، وزال ثلثها، فَرَأَوْا السَّمَاءَ، غير أنهم لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ.

وهذا مثال نادر في الصدق والأمانة، فما أخذ الرجل المال لنفسه، ولا طمع فيه، بل ثمَّره ونمّاه، ما رجى من ذلك شكرًا بل سعى لرضا مولاه، وجعل جنة الخلد مبتغاه، **إنه**

(1) وفرق الأرز إناء يتسع لثلاثة آصع.

خلقٌ ما أجمله، ونبلٌ من أعجبه، وقد قال ربنا في وصف المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون:٨].

وأما الثاني: فحكي القصة الآتية:

لفقد كان له أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، ضعيفان، فقيران، لَيْسَ لَهُمَا خَادِمٌ وَلَا رَاعٍ وَلَا وَلِيٌّ ولا أحد في الدنيا غيره، وكان صاحبنا بارًّا بوالديه، محسنًا إليهما، فكان يرعى لَهُمَا بِالنَّهَارِ، ويأوي إِلَيْهِمَا بِاللَّيْلِ، ويأتيهما كل ليلةٍ بلبن غنمٍ له، وكان له أولاد صغار يرعى عليهما.

وكان صاحبنا يرعى الغنم، وذات يومٍ ظلَّ يبحث عن المرعى لغنمه، إلى أن بعُد عن مكانه زيادةً على المعتاد، فلم يرجع إلى بيته إلا في وقتٍ متأخرٍ من الليل.

جاء الرجل فحلب لبن غنمه، ثم ذهب إلى والديه ليشربا، فوجدهما قد رقدا، نظر فإذا أولاده وزوجته يَتَضَاغَوْنَ ويبكون ويصيحون عند قدمه من شدة الجوع، وكان صاحبنا لا يسقي أحدًا من أهل بيته قبل والديه، وقد ناما اليوم ولم يشربا، فماذا يصنع يا تُرَى؟

هل يوقظهما؟

لا، لم يفعل، كره أن يوقظهما، ويقطع عليهما نومهما.

فهل يسقي أولاده، ويُبقِي لبنًا لوالديه، فإذا استيقظا أتاهما به فيشربا؟

لا، لم يفعل، لأنه لا يجوز عنده أن يشرب أحدٌ قبل والديه، وكره أن يدعهما ويذهب فيضعفا لترك عشاءهما وعدم شربهما اللبن.

إذن فماذا يصنع؟!

لقد ظلَّ صاحبنا واقفًا عند رأسيهما، حاملًا إناء اللبن، ينتظر أن يستيقظا، لكن المفاجأة أنهما لم يستيقظا إلا حين طلع الفجر، وظلَّ صاحبنا واقفًا ومعه اللبن حتى الفجر، فشرب والداه، ثم شرب وشرب أهله وألاده.

قال: فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ.

وهكذا فرج الله عن أهل البر في الدنيا الكربات، ولهم في الآخرة أرفع الدرجات، ونعيم دائم في الجنات، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَذَاكَ الْبِرُّ، كَذَاكَ الْبِرُّ. قالت عائشة: وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ[1].

فبر الوالدين وصيةُ رب العالمين، ومنجاةٌ للمتقين، وملاذٌ للتائبين، وفرجٌ من الهلاك المبين، وفوز يوم الدين، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [البقرة:٨٣]، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء:٢٣]، ولو كانت كلمة تضجرٍ في كلام العرب أقل من حرفين لذكرها رب العالمين.

وأما الثالث: فحكى القصة الآتية:

لقد كانت لصاحبنا ابنة عمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيه، كان يحبها كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فراودها عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ وتمنَّعت، وفي إحدى السنوات أصابها قحطٌ وجدبٌ، واحتاجت إلى المال، فجاءته فطلبت منه مائة دينارٍ.

خرج الرجلُ فجمع المال، ثم أعطاها مِائَةَ دِينَارٍ، وزادها عِشْرِينَ دينارٍ أخرى عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بينه وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فأمكنته من نفسها، حتى إذا قدر عليها، وقعد بين رجليها، وجلس منها مجلس الرجل من امرأته خافت وارتعدت، وبكت.

قال: مَا يبكيك؟

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ١٥١).

قَالَت: فعلت هَذَا من الْحَاجة.

يا عبد الله! اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، أُذَكِّرُكَ اللهَ أَنْ تَرْكَبَ مِنِّي مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ.

قَالَ: أَنَا أَحَقُّ أَنْ أَخَافَ رَبِّي، انْطَلِقِي.

قال: فَتَرَكْتُهَا مِنْ مَخَافَتِكَ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِك، وتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا».

ومن عجيب أمر هذا الثالث أنه لم يذكر طاعً تقرب بها إلى الله، وإنما ذكر كبيرةً كاد أن يفعلَها، لكنه تركها خوفًا من الجليل، وعملًا ليوم الرحيل، ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور:٣٧].

وهكذا الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ يفعل بصاحبه، فمن خاف الله أعرض عن المحرمات، واستبَقَ الخيرات، وتزوَّد من الصالحات، وحمله خوفه على السيئات، فأبدله الله بذلك حسنات، وقد قال نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ**»[1].

وهذا نص الحديث عن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أخرج الشيخان[2]، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلاَثَةُ نَفَرٍ[3] مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ[فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ].

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع؛ منها (٤٢)، ومسلم (١٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في مواضع؛ منها: (٢٢١٥)، وهذا لفظه، ومسلم (٢٧٤٣)، وما بين القوسين **هو من** الصحيحين في رواياتٍ أُخر عن ابن عمر.

(٣) عوانة (٥٥٨٧) بسند ضعيف: «ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ».

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللهِ يَا هَؤُلاَءِ، لاَ يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ.

[انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً للهِ.

ادْعُوا اللهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ.

إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ من هذه الصخرة إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ](١).

فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ فَسُقْهَا [كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ؛ مِنَ الإِبِلِ، وَالبَقَرِ، وَالغَنَمِ، وَالرَّقِيقِ](٢).

فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ [يَا عَبْدَ اللهِ لاَ تَسْتَهْزِئُ بِي.

فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ] اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ فَسَاقَهَا [فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا](٣).

فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ [ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ] فَفَرِّجْ عَنَّا(٤)، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ [فَفَرَّجَ اللهُ مِنْهَا فُرْجَةً، فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ].

---

(١) أحمد (٣/ ١٤٣) بسند صحيح من حديث أنس: «وَقَعَ الحَجَرُ، وَعَفَا الأَثَرُ، وَلاَ يَعْلَمُ بِمَكَانِكُمْ إِلاَّ اللهُ، فَادْعُوا اللهَ بِأَوْثَقِ أَعْمَالِكُمْ».
البزار (٩٠٦) بسند حسن من حديث علي: تَفَكَّرُوا فِي أَحْسَنِ أَعْمَالِكُمْ، فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّ اللهَ يُفَرِّجُ عَنْكُمْ».
الدعاء (١٨٩): «إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا شَيْئًا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَدْعُوَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ بِخَيْرِ عَمَلٍ عَمِلَهُ قَطُّ».

(٢) حم (٢/ ١١٦): «فَلَمَّا أَمْسَى عَرَضْتُ عَلَيْهِ حَقَّهُ، فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، وَذَهَبَ وَتَرَكَنِي، فَتَحَرَّجْتُ مِنْهُ وَثَمَّرْتُهُ لَهُ، وَأَصْلَحْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَلَقِيَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَأَعْطِنِي أَجْرِي وَلاَ تَظْلِمْنِي».

(٣) الدعاء (١٩٢) بسند صحيح من حديث أنس: «فَأَعْطَيْتُهُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَلَوْ شِئْتُ لَمْ أُعْطِهِ إِلَّا الأَجْرَ الأَوَّلَ».

(٤) الدعاء (١٨٧) بسند حسن من حديث علي: «مِنْ مَخَافَتِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ».
أحمد (٣/ ١٤٣): «رَجَاءَ رَحْمَتِكَ، وَمَخَافَةَ عَذَابِكَ»

فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ [وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ][(١)]، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً [فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا][(٢)]، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا، وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الجُوعِ، فَكُنْتُ لاَ أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ [وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا]، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ.

فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ.

فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ [كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ كنت أحبها كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ]، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ [فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ؛ فَجَاءَتْنِي]، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا [فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا]، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا [حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا]، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ[(٣)].

فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا».

---

(١) البزار (٩٠٦): «لَيْسَ لَهُمَا خَادِمٌ وَلَا رَاعٍ وَلَا وَلِيٌّ غَيْرِي، فَكُنْتُ أَرْعَى لَهُمَا بِالنَّهَارِ، وَآوِي إِلَيْهِمَا بِاللَّيْلِ».

(٢) الشاميين (٣١٤٩) بسند صحيح: « فَنَأَى بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْمًا».

(٣) البزار (٩٠٦) بسند حسن: «فَقَالَتْ: أُذَكِّرُكَ اللهَ أَنْ تَرْكَبَ مِنِّي مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ.
قَالَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَحَقُّ أَنْ أَخَافَ رَبِّي، فَتَرَكْتُهَا مِنْ مَخَافَتِكَ وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِك.
الدعاء (١٨٩) من حديث النعمان: فَلَمَّا أَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا بَكَتْ، فَقُلْتُ: مَا يبكيك؟
قَالَت: فعلت هَذَا من الْحَاجة.
فَقلت: انْطَلِقِي».

بقــرة تتكلم

ذات يومٍ صَلَّى نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةَ الصُّبْحِ بأصحابه الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فسرد لهم هاتين الواقعتين:

أما الأولى:

فلرجلٍ ممن كان قبلنا من الأمم، كان يَسُوقُ بَقَرَةً له، فرَكِبَهَا وضَرَبَهَا حتى آذاها، وما رَفِق بها ولا رحمها، وقد قال نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**»(١). وقال: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**»(٢).

غضبت البقرة فأنطقها الله، فتكلمت، وقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ، لم نخلق للضرب ولا للتعذيب، فلا ترهقنا، ولا تظلمنا.

تعجب النَّاسُ واستغربوا: سُبْحَانَ اللهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ!! يا للعجب!!

فقَالَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ**».

ولم يكن أَبُو بَكْرٍ وَلا عُمَرُ في مجلس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آنذاك، لكنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم عنهما رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الاستسلام والإذعان، وقوة الصدق والإيمان، بكل ما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: فَتَجَهَّزَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالُوا لَهُ: هَلْ لَكَ فِي صَاحِبِكَ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَقَالَ ذَلِكَ؟

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢١٦٥).

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: فَأَشْهَدُ، لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ.

قَالُوا: فَتُصَدِّقُهُ بِأَنْ يَأْتِيَ الشَّامَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟

قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي أُصَدِّقُهُ بِأَبْعَدِ مِنْ ذَلِكَ، أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ.

قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فَبِهَا سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

وأما الثانية:

فلرَجُلٍ كان فِي غَنَمِهِ يرعاها ويحفظها، وبينما هو كذلك جاء ذِّئْب فاعتدى على الغنم، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ وانطلق كالبرق مسرعًا، سار الرجل خلف الذئب كالريح، فاسْتَنْقَذَ منه الشاة.

غضب الذئب مما فعله الراعي، فالتفت إليه، وقال: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي اليوم، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لاَ رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي.

من يرعى الأغنام يوم السبع غيري؟ حينما ينشغل الناس في الفتن والمحن، وتبقى الأغنام هملًا، فتأتي الأسود فتأخذ منها حاجتها، وأتخلَّف أنا مع الأغنام، لا راعي لها يومئذٍ غيري(٢).

تعجب النَّاسُ واستغربوا: سُبْحَانَ اللهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ!! يا للعجب!!

فقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ.

ولم يكن أَبُو بَكْرٍ وَلا عُمَرُ في مجلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آنذاك.

---

(١) **مرسل، حسن بشواهده:** أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٦٠)، بإسناد صحيح، وأخرجه الحاكم (٣/ ٦٢)، بسند فيه مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ الصَّنْعَانِيُّ صدوق كثير الغلط، وفي متنه نكارة، وله شاهد ثان **عن شَدَّاد** ابْن أَوْسٍ، أخرجه البيهقي (٢/ ٣٥٥)، وفيه عمرو بن الحارث الحمصي مقبول.

(٢) وثَمَّ أوجهٌ أخر ذكرها الحافظ في فتح الباري (٧/ ٢٧).

وهكذا بقرة تكلمت، وذئب نطق، في غابر الأزمان، ولسوف تتكلم دابةٌ حال الفتن وضياع الإيمان، تذكر الناس بالرحيم الرحمن، وتخوفهم من العذاب والنيران، ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل:٨٢].

وهذا نص الحديث عن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أخرج الشيخان[١]، عن أبي هريرة قال: صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ.

فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ!!

فَقَالَ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، - وَمَا هُمَا.

وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ هَذَا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لاَ رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي.

فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ.

قَالَ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ - وَمَا هُمَا ثَمَّ.



(١) أخرجه البخاري في مواضع؛ منها: (٢٣٢٤)، ومسلم (٢٣٨٨).

هـرة وكلب

هرةٌ وكلبٌ، هرة أخذت بامرأة إلى أحط الدركات، ونار مليئة بالظلمات.

المشهد الأول:

بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي بفلاة من الأرض اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي.

أَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ، نزل البئر، فَمَلَأَ الخفَّ ماءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ صَعِدَ من البئر بجهدٍ وعناء، فَسَقَى الْكَلْبَ حتى روِى؛ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ؛ فَغَفَرَ لَهُ فأدخله الجنة.

المشهد الثاني:

كانت امْرَأَة مُومِسَةٍ زانية من بغايا بني إسرائيل، وبينما هي تسير فِي يَوْمٍ حَارٍّ؛ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ بِئْرٍ قد أخرج لِسَانَهُ يَلْهَثُ الثرى، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا، فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا، فأخذت لَهُ مِنْ الْمَاءِ فسقته؛ فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ[1].

أَمرأةٌ مومَس تدخل الجنة في سقيا كلبٍ؟

أهذا شيء يصدقه العقل، ويؤيده الشرع؟

نعم، أليست مسلمة؟ وقد قال ربنا: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾ [النساء:٤٨]، فما دامت على الإسلام، فرحمة الرحمن تعم الأنام، وقد قال نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي** – أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي – **أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ**

---

(١) قال النووي: في هذا الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْحَيَوَانِ الْمُحْتَرَم، وَهُوَ مَا لَا يُؤْمَرُ بِقَتْلِهِ. فَأَمَّا الْمَأْمُورُ بِقَتْلِهِ فَيُمْتَثَلُ أَمْرُ الشَّرْعِ فِي قَتْلِهِ، وَالْمَأْمُورُ بِقَتْلِهِ كَالْكَافِرِ الْحَرْبِيِّ، وَالْمُرْتَدِّ، وَالْكَلْبِ الْعَقُور، وَالْفَوَاسِقِ الْخَمْسِ، وَمَا فِي مَعْنَاهُنَّ. وَأَمَّا الْمُحْتَرَمُ فَيَحْصُلُ الثَّوَابُ بِسَقْيِهِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ أَيْضًا بِإِطْعَامِهِ، وَغَيْرِهِ. «شرح مسلم» (١٤/ ٢٤١).

يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ». قال أبو ذر: قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**»(١).

وصدق نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»(٢).

قَال الصحابة: يَا رَسُولَ الله! وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟

قَالَ: «**فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**».

المشهد الثالث:

عُرِضَتْ عَلَي نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّارُ، فَرَأَى فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ، ما كان سبب عذابها يا تُرى؟

لقد كان سبب عذابها هِرَّة لَهَا رَبَطَتْهَا وحبستها فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، وظلت الهرة في محبسها حتى ماتت.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: لِئَلَّا يَتَّكِلَ رَجُلٌ وَلَا يَيْأَسَ رَجُلٌ(٣).

ولم تكن هذه المرأة كافرة، وإنما كانت مسلمةً، موحدةً لله عَزَّوَجَلَّ، وعُذِّبت بسبب حبسها هذه الهرة؛ لأنها ربطتها وحبستها وأصرت على معصيتها حتى ماتت الهرة، وَالْإِصْرَارُ عَلَى الصَّغِيرَةِ يَجْعَلُهَا كَبِيرَةً(٤).

وأنت لا تدري يا عبد الله فيما.

وكذا الراحمون يرحمهم الرحمن؛ فارحم العباد يرحمك الله يوم المعاد، وأحسن إلى الإنسان والحيوان تثقُل حسناتك في الميزان، فما أجمل أن تتخلق بصفة الرحمن، وقد قال ربنا في نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٧)، ومسلم (٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٥٥)، ومسلم (٩٢٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦١٩).

(٤) قَالَ الْقَاضِي عياض: فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْمُؤَاخَذَةُ بِالصَّغَائِرِ. «شرح مسلم» (٦/ ٢٠٨).

قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ**»[1].

فلا تحقرنَّ صغيرة؛ فأنت لا تدري فيها نجاتك، ولا تدري فيها هلاكك، وسابق بالخيرات، وسارع إلى الطاعات، وتجنب الزلات، وتنكب العثرات.

***وهذا نص الحديث عن نبينا* صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

أخرج الشيخان[2]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي [خ: فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ]

فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ[3] فَسَقَى الْكَلْبَ؛ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ ؛ فَغَفَرَ لَهُ [خ: فأدخله الجنة].

قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟

قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ؛ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا، فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا، فَنَزَعَتْ لَهُ مِنْ الْمَاءِ؛ فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

(٢) أخرجه البخاري في مواضع؛ منها: (١٧٣)، ومسلم (٢٢٤٤). «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» أي: فِي كُلّ كَبِد حَيّ أَجْر، وَهُوَ عَامّ فِي جَمِيع الْحَيَوَان الْمُحْتَرَم الذي لَمْ يُؤْمَر بِقَتْلِهِ.

(٣) أي: صَعِدَ.

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٢١). «رَكِيٍّ» أي: بِئْرٍ.

ولفظ: أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنْ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا[1].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ.. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُولَجُونَهُ، فَعُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ.. وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا، رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ[2].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**»[3].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ مِنْ جَرَّاءِ هِرَّةٍ لَهَا، أَوْ هِرٍّ، رَبَطَتْهَا فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تُرَمْرِمُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلًا**».

قَالَ الزُّهْرِيُّ: ذَلِكَ، لِئَلَّا يَتَّكِلَ رَجُلٌ، وَلَا يَيْأَسَ رَجُلٌ[4].



(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).
(٢) أخرجه مسلم (٩٠٤).
(٣) أخرجه البخاري (٣٣١٨).
(٤) أخرجه مسلم (٢٦١٩).

دخل النار بكلمة

قَالَ ضَمْضَمُ بْنُ جَوْسٍ اليمامي: دَخَلْتُ مَسْجِدَ المَدِينَةِ، فَإِذَا أَنَا بِشَيْخٍ مُصَفِّرٍ رَأْسَهُ، بَرَّاقِ الثَّنَايَا، مَعَهُ رَجُلٌ أَدْعَجُ، جَمِيلُ الْوَجْهِ، شَابٌّ، فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا يَمَامِيُّ تَعَالَ.

قَالَ: لَا تَقُولَنَّ لِرَجُلٍ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ أَبَدًا، وَلَا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ أَبَدًا.

قُلْتُ: وَمَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللهُ؟

قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ.

قُلْتُ: فَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ يَقُولُهَا أَحَدُنَا لِبَعْضِ أَهْلِهِ إِذَا غَضِبَ، أَوْ لِزَوْجَتِهِ، أَوْ لِخَادِمِهِ؟

فذكر له أنه سمع من رسول الله ﷺ القصةَ الآتية:

كَانَ رَجُلَانِ مسلمان فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ مُتَحَابَّيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، هذا سبَّاقٌ إلى الخير، مسارعٌ إلى البر، والآخر مسرفٌ في الشهوات، كثير العثرات والزلات.

فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فيجد النصيحة عليه لازمة، وقد قال ربنا في وصفنا: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران:١١٠]، وقال جَرِير بْن عَبْدِ اللهِ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»(١). وقال نبينا ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قالوا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(٢).

فقال المجتهد في الطاعة للعاصي ناصحًا ومرشدًا: أَقْصِرْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (٥٥).

فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ». فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ، أَقْصِرْ.

فَقَالَ العاصي متضجرًا: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟

مالك ومالي، دعني وشأني.

فَقَالَ الطائع غاضبًا: وَيْحَكَ، وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ.

يالها من كلمةٍ عظيمةٍ لو نزلت على جبلٍ لهدته!

فَبَعَثَ اللهُ مَلَكًا فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟

من أعلمك أنه لن يلج الجنة؟ إن هذا ليس من شأنك، ولا هذا من شغلك؛ فدعِ الناس لباريهم، فهو أعلم بمعاصيهم، وعلى أعمالهم مجازيهم، وقد ورد عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثٍ آخر أنه حَدَّثَ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ(١).

وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي.

فرحمة الرحمن واسعةٌ، ومهما فعل المؤمن من ذنوبٍ عظامٍ فأمره موكولٌ إلى ربه، إن شاء عذَّبه، وإن شاء غفر له، إذا مات على الإسلام. ولن يدخلَ أحدٌ الجنة باجتهادٍ ولا عملٍ، وإنما بسعة رحمة الرب الأجل، وقد قال نبيا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ**»، قَالَ رَجُلٌ: وَلَا إِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلَا إِيَّايَ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا**»(٢).

وَقَالَ لِلْآخَرِ العاصي: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْظُرَ عَلَى عَبْدِي رَحْمَتِي؟

قَالَ: لَا يَا رَبِّ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١). «يَتَأَلَّى»: يحلف.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

قال: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

وهكذا حبِطَ عمل الرجل بكلمةٍ واحدةٍ؛ فاحذر كلامك، وأمسك عليك لسانك. إن هذه الكلمة كبيرةٌ من الكبائر، فلا أحد يعرف من في الجنة ومن في النار، من المغفور له، ومن المغضوب عليه، ولولا أن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ**»[1] لما جزمنا بذلك.

وهذا نص الحديث عن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أخرج أبو داود وغيره[2]، عن ضَمْضَم بْن جَوْسٍ قال: [الزهد: دَخَلْتُ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، فَنَادَانِي شَيْخٌ[3]، وَقَالَ: يَا ابْنَ أُمِّي، تَعَالَهْ، وَمَا أَعْرِفُهُ، قَالَ: لَا تَقُولَنَّ لِرَجُلٍ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ أَبَدًا، وَلَا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ أَبَدًا.

قُلْتُ: وَمَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللهُ؟

قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ.

قُلْتُ: فَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ يَقُولُهَا أَحَدُنَا لِبَعْضِ أَهْلِهِ إِذَا غَضِبَ، أَوْ لِزَوْجَتِهِ، أَوْ لِخَادِمِهِ؟

قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:...]

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ [الزهد: مُتَحَابَّيْنِ]، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ [الزهد: عَمَّا أَنْتَ فِيهِ].

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه الترمذي (٣٧٤٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٣٨)، وأحمد (١/ ١٩٣).

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٩٠١)، وأحمد (٢/ ٣٢٣، ٣٦٣)، وابن حبان (٥٧١٢)، وابن المبارك في «الزهد والرقائق» (٩٠٠)، والسياق أبي داود، وما بين القوسين عند من ذكرتهم بإسناد صحيح.

(٣) ابن حبان (٥٧١٢) بسند صحيح: قَالَ ضَمْضَمُ بْنُ جَوْسٍ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَإِذَا أَنَا** بِشَيْخٍ مُصَفِّرٍ رَأْسَهُ، بَرَّاقِ الثَّنَايَا، مَعَهُ رَجُلٌ أَدْعَجُ، جَمِيلُ الْوَجْهِ، شَابٌّ، فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا يَمَامِيُّ تَعَالَ.

فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ [حم: على ذنبٍ اسْتَعْظَمَهُ. فَقَالَ لَهُ: أَقْصِر]، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟

فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ.

[الزهد: فَبَعَثَ اللهُ مَلَكًا] فقَبَضَ أَرْوَاحَهُما، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟

وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي.

وَقَالَ لِلْآخَرِ: [الزهد: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْظُرَ عَلَى عَبْدِي رَحْمَتِي؟

قَالَ: لَا يَا رَبِّ].

قال: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.



لا تحقرن صغيرة

المشهد الأول:

بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ حتى لَا يُؤْذِيهِمْ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ.

نعم، غفر الله له زلاتِه، وكفر عن سيئاتِه، بكفِّه الأذى عن طريق المسلمين، وقد قال نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[(١)].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ**»[(٢)].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»[(٣)].

قال أبو برزة: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي لَا أَدْرِي، لَعَسَى أَنْ تَمْضِيَ وَأَبْقَى بَعْدَكَ، فَزَوِّدْنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللهُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْعَلْ كَذَا، افْعَلْ كَذَا – نَسِيَهُ أَبُو بَكْرِ ابْنُ شُعَيْبٍ – وَأَمِرَّ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»[(٤)].

فأزل الأذى من طريق المسلمين يكن لك زخرًا يوم الدين، وشفاعة عند رب العالمين، ولا تحقرن صغيرة، فأنت لا تدري لعلَّ أذىً تنحِّية يكون خير عملٍ تؤدِّيه، تلك وصية نبينا الأمين، فاحرص عليها ولا تك من المفرطين، رزقنا الله الحرصَ على طاعته، وبذلَ الوقت في قربته، والكفَّ عن معصيته.

---

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٥٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦١٨).

المشهد الثاني:

بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلاَءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

أبهذا الذنب يخسف الله بهذا العبد؟

بلى، ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥]. إن إبليس فعل ذنبًا واحدًا، وكانت عاقبة ذنبه اللعنَّ إلى يوم الدين، تُرى ما الذنب العظيم الذي فعله إبليس؟

إنه الكبر والغرور، إن الكبر داءٌ عضالٌ، لا يرضاه الكبير المتعال، ولذا يحشر المتكبرون على أسوأ حال، قال نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ**»(١).

فخذ بوصية نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لولده: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ.. قال: وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ(٢)، واخفض لربِّك الجناح، ولا يكنِ التطاولُ على الخلق عندك مستباحٌ.

المشهد الثالث:

قَالَ سَلْمَانُ الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ».

قَالُوا: وَمَا الذُّبَابُ؟

فَرَأَى ذُبَابًا عَلَى ثَوْبِ إِنْسَانٍ، فَقَالَ: «هَذَا الذُّبَابُ».

قَالُوا متعجبين: وَكَيْفَ ذَاكَ؟

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه الترمذي (٢٤٩٢)، وأحمد (٢/ ١٧٩). وقد أعلَّ شيخنا حفظه الله الحديثَ.
«الصَّغار»: الذل والهوان. «الخَبَال»: الفساد. «عُصَارةُ أهلِ النارِ»: ما يسيل منهم من الصديد **والقيح** والدم.

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ١٧٠).

فذكر لهم الموقف الآتي:

مَرَّ رَجُلَانِ مُسْلِمَانِ عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى صَنَمٍ لَهُمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: قَرِّبَا لِصَنَمِنَا قُرْبَانًا.

قَالَا بثباتٍ: لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا.

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]. فما لنا وللشرك؟ لا والله لا نشرك بالله أبدًا، ولا نتخذ من دون نِدًّا.

قَالُوا يهونون عليهم الأمر: قَرِّبَا مَا شِئْتُمَا وَلَوْ ذُبَابًا.

فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ بضعفٍ وخوَر: مَا تَرَى؟

قَالَ أَحَدُهُمَا بثباتٍ وقوة إيمانٍ: لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا.

فلا يجوز لنا أن نقرِّب شيئًا لغير الله تعالى، حتى ولو ذباب، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ثبت على الإيمان، وسأل الله العفو والغفران، فَقتلوه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ.

أما الْآخَرُ فَأَخَذَ ذُبَابًا من عَلَى وَجْهِهِ فَأَلْقَاهُ عَلَى الصَّنَمِ، ونجا من عذاب الدنيا، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ﴾ [الرعد:٣٤].

وهكذا دخل الرجل النارَ في ذبابٍ؛ لَمَّا أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

فاحذر الشرك تُفلح، ووحد ربَّك تَنجح، وإيَّاك إيَّاك من الإشراك مع الله في العبادة؛ فالشرك أكبر الكبائر، وأعظم الشنائع، بنصِّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وبإجماع العلماء، لا يغفره الله للعبد ولو جاء بأعمال كالجبال، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ....**»[1].

(١) أخرجه مسلم (٨٩).

المشهد الرابع:

مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» لم يكن عظيمًا يصعُب تركُه ويشق الإعراضُ عنه، ثُمَّ قَالَ: «**وإنه كبير، عند الله** عَزَّوَجَلَّ» ﴿**وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ**﴾ [النور:١٥].

أما الأول: لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ. وفي لفظ: كَانَ لَا يَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ.

كان إذا تبول لا يتنزَّه من البول، ولا يصون جسمه وثوبه من وقوع بعض قطرات البول عليه؛ ولذا ينبغي على العبد عند قضاء الحاجة أن لا يتسرَّع، بل يتأنَّى، ولا ينبغي أن يصل به الأمر إلى الوسوسة، فالاعتدال في كل شيء خير.

وأما الثاني: فكان يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ويالها من آفة كبيرة، وبليَّة عظيمةٍ، وداءٍ فتَّاك، أن تكون همة العبد وغايته الوقيعة بين المسلمين، ونشر البغضاء والفرقة بين المحبين، ولذا قال نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ**»[1].

المشهد الخامس:

قَالَ رَجُلٌ من الصحابة: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاَتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا.

قَالَ: لا خير فيها، هِيَ فِي النَّارِ.

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! فَإِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلاَتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالأَثْوَارِ مِنَ الأَقِطِ، وَلاَ تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا.

قَالَ: لا خير فيها، هِيَ فِي الْجَنَّةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

نعم، دخلت هذه النار بأذيتها لجارتها، ووقوعها في عرضها بلسانها، ودخلت الأخرى الجنة بإحسانها إلى جارتها، وكف الأذى عنها.

ولذا نهانا نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إيذاء الجار، وأوصانا أن نبذُلَ له الخيرات، ونقيلَ عنه العثرات، ونسترَ عليه العورات، وجعل ذلك للإيمان كالعلامات، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ**»[1]. وليست هذه وصية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل هي وصية جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[2].

وهذا نص الحديث عن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**»[3].

وفي لفظ له: «**مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ**».

وفي لفظ له: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ**».

وفي لفظ له: «**إِنَّ شَجَرَةً كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَطَعَهَا، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ**».

قَالَ سَلْمَانُ: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ».

قَالُوا: وَمَا الذُّبَابُ؟

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤)، واللفظ له.

فَرَأَى ذُبَابًا عَلَى ثَوْبِ إِنْسَانٍ، فَقَالَ: «هَذَا الذُّبَابُ».

قَالُوا: وَكَيْفَ ذَاكَ؟

قَالَ: « مَرَّ رَجُلَانِ مُسْلِمَانِ عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى صَنَمٍ لَهُمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: قَرِّبَا لِصَنَمِنَا قُرْبَانًا.

قَالَا: لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا.

قَالُوا: قَرِّبَا مَا شِئْتُمَا وَلَوْ ذُبَابًا.

فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا تَرَى؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، فَقُتِلَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ الْآخَرُ بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَخَذَ ذُبَابًا فَأَلْقَاهُ عَلَى الصَّنَمِ فَدَخَلَ النَّارَ»(١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» ثُمَّ قَالَ: «**بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»(٢).

ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟

قَالَ: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا**» أَوْ: «**إِلَى أَنْ يَيْبَسَا**»(٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا.

قَالَ: هِيَ فِي النَّارِ.

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٣٥٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٦٢).

(٢) عند أبي داود (٢٠) بسند صحيح: كَانَ لَا يَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ. وعند النسائي (٢٠٦٨) بسند صحيح: كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ.

(٣) أخرجه البخاري (٢١٦)، واللفظ له، ومسلم (٢٩٢). ووضع الجريدة على الميت لتخفيف العذاب **عنه** خاص بهذه الواقعة، وبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! فَإِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلاَتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالأَثْوَارِ مِنَ الأَقِطِ، وَلاَ تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا.

قَالَ: هِيَ فِي الْجَنَّةِ(١).

وفي رواية: يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل، وتصوم النهار، وتفعل وتصَّدق، وتؤذي جيرانها بلسانها؟ فقال: لا خير فيها، هي من أهل النار. قال: وفلانه تصلي المكتوبة، وتصدق بأتوار، ولا تؤذي أحدًا؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هي من أهل الجنة(٢).

عن ابْنَ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلاَءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»(٣).



(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٠).
(٢) الأدب المفرد (١١٩) بإسناد صحيح.
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٨٥).

اختر إحدى ثلاث

عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى العَصْرَ هَمَسَ شَيْئًا، لَا نَفْهَمُهُ، وَلَا يُحَدِّثُنَا بِهِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا صَلَّيْتَ العَصْرَ هَمَسْتَ؟

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَطِنْتُمْ لِي؟

قَالَ قَائِلٌ: نَعَمْ.

قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.

فذكر لهم الموقفَ الآتي:

أَنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ فَأُعْجِبَ بِأُمَّتِهِ فَقَالَ: مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلَاءِ، أَوْ مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ. أَوْ كَلِمَةً شَبِيهَةً بِهَذِهِ.

فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوِ الْجُوعَ، أَوِ الْمَوْتَ.

وهذا شبيهٌ بما حلَّ بالمسلمين في حنين، لَمَّا رأَوْا عددًا وجندًا وقال بعضهم: لن نُغلَبَ اليوم من قلةٍ، وقد قال ربنا في وصف الحال آنذاك: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

فالمسلمون على مرِّ العصور والأزمان لا يُنْصَرون بعددٍ ولا مددٍ، ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

اسْتَشَارَ النبيُّ قَوْمَهُ فِي الحدثِ الجَلل، فَقَالُوا: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ، نَكِلُ ذَلِكَ إِلَيْكَ، فَخِرْ لَنَا.

فَقَامَ إِلَى صَلَاتِهِ. وَكَانُوا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ.

فالصلاة ملاذ المؤمنين، وراحة المحبين، وأنس المتعبدين، ولذة المشتاقين، وبها يزول الكرب، وينجلي الهمُّ، ويروح الغمُّ، وقد كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لبلال: «**يا بِلَالُ! أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**»[1].

صَلَّى النبيُّ لربه ركعاتٍ، ثم قَالَ: يَا رَبِّ! إِمَّا أَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ فَلَا، وَإِمَّا أَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِمُ الْجُوعَ فَلَا، وَلَكِنِ الْمُوْتُ.

قَالَ: فَسُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمُوْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا.

فَهَمْسِي الَّذِي تَرَوْنَ أَنِّي أَقُولُ: اللهُمَّ يَا رَبِّ، بِكَ أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

فاللهم أنج عبادك المستضعفين من المؤمنين، وعجِّل لهم بنصرٍ مبين، وأزل الغمَّة عن بلاد المسلمين.

وهذا نص الحديث عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أخرج أحمد وغيره[2]، عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى هَمَسَ شَيْئًا، لَا نَفْهَمُهُ، وَلَا يُحَدِّثُنَا بِهِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَطِنْتُمْ لِي؟

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٩٨٥)، وأحمد (٥/ ٣٦٤). قلت: وفي إسناده خلاف، وقد رجَّح الحافظ الدارقطني رواية عَمْرو بْن مُرَّةَ. «العلل» (٤/ ١٢٠).

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٣٤٠)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٧٩)، وأحمد (٤/ ٣٣٣، ٦/ ١٦)، واللفظ له، والبزار (٢٠٨٩)، وهذا سياق أحمد، وما بين القوسين عند من ذكرتهم بإسناد صحيح.

[ت: كَانَ رَسُولُ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى العَصْرَ هَمَسَ - وَالهَمْسُ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ تَحَرُّكُ شَفَتَيْهِ كَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ - فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا صَلَّيْتَ العَصْرَ هَمَسْتَ؟

سي: كَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ أَيَّامَ حُنَيْنٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ].

قَالَ قَائِلٌ: نَعَمْ.

قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ؟ فَقَالَ: مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلَاءِ، أَوْ مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ». أَوْ كَلِمَةً شَبِيهَةً بِهَذِهِ، شَكَّ سُلَيْمَانُ - أحد رواة الحديث [ت: إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ كَانَ أُعْجِبَ بِأُمَّتِهِ فَقَالَ: مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ؟]

قَالَ: فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوِ الْجُوعَ، أَوِ المَوْتَ.

قَالَ: فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ، نَكِلُ ذَلِكَ إِلَيْكَ، فَخِرْ لَنَا [حم: فَشَاوَرَهُمْ، فَقَالُوا: أَمَّا الْعَدُوُّ، فَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ، وَأَمَّا الْجُوعُ فَلَا صَبْرَ لَنَا عَلَيْهِ، وَلَكِنِ الْمَوْتُ].

قَالَ: فَقَامَ إِلَى صَلَاتِهِ. قَالَ: وَكَانُوا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ [بزار: قَالَ سُلَيْمَانُ بن المغيرة: وَكَانُوا يَفْزَعُونَ إِلَى الصَّلَاةِ].

قَالَ: فَصَلَّى، قَالَ: أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَا، أَوِ الْجُوعُ فَلَا، وَلَكِنِ الْمَوْتُ. البزار: فَقَالَ: يَا رَبِّ! إِمَّا أَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ فَلَا.

قَالَ: فَسُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا.

فَهَمْسِي الَّذِي تَرَوْنَ أَنِّي أَقُولُ: اللهُمَّ يَا رَبِّ، بِكَ أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

جـرة ذهب

في غابر الأزمان اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ[١]، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ.

وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا.

فالْعَقْدَ إِنَّمَا وَقَعَ بَيْنَهُمَا عَلَى الْأَرْضِ خَاصَّةً؛ فَاعْتَقَدَ الْبَائِعُ دُخُولَ مَا فِيهَا ضِمْنًا، وَاعْتَقَدَ الْمُشْتَرِي أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ.

فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ.

فَقَالَ: الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟

قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ.

وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ.

قَالَ: اذْهَبَا، فَزَوِّجِ ابْنَتَكَ من ابن هَذَا، وَجَهِّزُوهُمَا مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَادْفَعَا إِلَيْهِمَا مَا بَقِي يعيشان بِهِ، وَتَصَدَّقَا.

وليست همتنا هنا بيان حكم المسألة فقهيًا في شرعنا، وإنما غرضنا بيان ما تحلى به هذان الرجلان من أمانةٍ قلَّ أن تجد مثلها في زماننا، أو نجد أحدًا على شاكلة هذين الرجلين من بيننا، فما أجمل أن نمتثل قول الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

فما طَمِع الرجلان في مالٍ، ولا غرهما بريق الذهب، فـ«لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ»[٢].

---

(١) والعقار الأرض وما يتصل بها.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٣٩)، عن أنس، عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذا تحلَّى كلاهما بالرضا والقناعة، وأذعنا لربهم بالخضوع والطاعة، وما خدعتهم الدنيا بزينتها، ولا غرَّتهم ببهجتها.

وهذا نص الحديث عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أخرج الشيخان(١)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ.**

وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ.

فَقَالَ: الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟

قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلاَمٌ.

وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ.

قَالَ: أَنْكِحُوا الغُلاَمَ الجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا».



(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٢)، ومسلم (١٧٢١).

لا تنسوا صاحب الرغيف

لَمَّا حَضَرَ أَبَا مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْوَفَاةُ قَالَ: يَا بَنِيَّ! اُذْكُـرُوا صَاحِبَ الرَّغِيفِ.

ثم حكى لهم القصة الآتية:

كَانَ رَجُلٌ ممن كان قبلنا ترك الدنيا وزينتها، وأقبل على الآخرة وسعادتها، فذهب فبنى له صومعةً خارج الديار، يتعبد للعزيز الغفار، ومعلومٌ أنه لا رهبانية في ديننا، وإنما نأخذ من دنيانا لآخرتنا.

خرج الرجل فظل في صومعته يتعبَّد لربِّه، ما تعِب وكلَّ، ولا أيس وملَّ، ظل على هذا الدرب سَبْعِينَ سَنَةً، لاَ يَنْزِلُ إِلاَّ فِي يَوْمِ أَحَدٍ، يأتي بالزاد، ثم يرجعُ لعبادته.

وفي يومٍ من أيام الآحاد، نزل العابد من صومعته، وبينما هو يسير رأى امرأةً، فزينها الشيطان في عينيه، فما غضَّ بصره، بل أتبع النظرة بنظرة، ففُتِن بها، فَكَانَ مَعَهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَ لَيَالٍ.

ويااليته غضَّ بصره، إذًا لسعِد ونجا من حبائل الشيطان، وما وقع في العصيان، ولذا قال ربنا سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور:٣٠].

وقال جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي[١].

وقال ابن القيم[٢]:

(١) أخرجه مسلم (٢١٥٩).

(٢) الداء والدواء (ص ١٥٤).

يَا رَامِيًا بِسِهَامِ اللَّحْظِ مُجْتَهِدًا — أَنْتَ الْقَتِيلُ بِمَا تَرْمِي فَلَا تُصِبِ
يَا بَاعِثَ الطَّرْفِ يَرْتَادُ الشِّفَاءَ لَهُ — احْبِسْ رَسُولَكَ لا يَأْتِيكَ بِالْعَطَبِ

فغض الطرف عن النساء يزدد قلبُك صفاء، ولا تغترَّ بعبادتك، ولا تعتمد على قوتك، ولا تتبع شهوتك؛ فإن الفتنَ خطَّافةٌ، والقلوبَ ضعيفةٌ، وربَّ نظرةٍ أورثت حسرةً، «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا»[1].

وسلِ الله دومًا أن يحفظك من الفتن، خاصةً فتنة النساء، «فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»[2].

بعد الليلة السابعة أفاق صاحبنا من غفلته؛ وصحا من رقدته، واستيقظ من كبوته، فلم يخيَّلِ الذي صنع، وامتلأ قلبُه ندمًا، وخوفًا، وفزعًا؛ فهام على وجهه في البلدان لا يدري أين يذهب؟

وكَانَ كُلَّمَا خَطَا خُطْوَةً صَلَّى وَسَجَدَ.

وبينما هو يمشي إذ طرق ظلامُ اللَّيْل الكونَ، ونظر صاحبنا فإذا هو بدُكَّانٍ عَلَيْهِ اثْنَا عَشَرَ مِسْكِينًا، فَأَدْرَكَهُ الإِعْيَاءَ والتعب الشديد، فَرَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ.

وَكَانَ هناك رَاهِبٌ من المنفقين الباذلين يَبْعَثُ إِلَيْهِمْ كُلَّ لَيْلَةٍ بِأَرْغِفَةٍ، فَيُعْطِي كُلَّ إِنْسَانٍ رَغِيفًا، فَجَاءَ صَاحِبُ الرَّغِيفِ فَأَعْطَى كُلَّ إِنْسَانٍ رَغِيفًا، وَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ الَّذِي خَرَجَ تَائِبًا، فَظَنَّ أَنَّهُ مِسْكِينٌ فَأَعْطَاهُ رَغِيفًا، فَقَالَ المَتْرُوكُ لِصَاحِبِ الرَّغِيفِ: مَا لَكَ لَمْ تُعْطِنِي رَغِيفِي؟ مَا كَانَ إِلَيَّ عَنْهُ غِنًى.

قَالَ: تُرَانِي أُمْسِكُهُ عَنْك؟ سَلْ: هَلْ أَعْطَيْتُ أَحَدًا مِنْكُمْ رَغِيفَيْنِ؟

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٢٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

قَالُوا: لاَ.

قَالَ: إِنِّي أَمْسِكُ عَنْك، وَاللهِ لاَ أُعْطِيك شَيْئًا اللَّيْلَةَ.

فأخذ التَّائِبُ الرَّغِيف الَّذِي دَفَعَهُ إِلَيْهِ صاحبُ الأرغفة، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي تُرِكَ، فَلما أَصْبَحَ الناس وجدوا التَّائِبُ قد مات.

قَالَ أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوُزِنَتِ السَّبْعُونَ سَنَةً بِالسَّبْعِ اللَّيَالِي فَلَمْ تَزِنْ، قَالَ: فَوُزِنَ الرَّغِيفُ بِالسَّبْعِ اللَّيَالِي، فَرَجَحَ الرَّغِيفُ.

فَقَالَ أَبُو مُوسَى: يَا بَنِيَّ اُذْكُرُوا صَاحِبَ الرَّغِيفِ.

وهكذا نجى العابد برغيف خبزٍ واحد، لكنَّ هذا الرغيف كان يساوي حياته، أمَّا عبادته وزهادته لأعوام فلعله لم يكن مخلصًا فيها، فليست العبرة بكثرة العمل، وإنما بالإخلاص للرب الأجل، فلا تتَّكل على عبادةٍ، وتظن النجاة فيها، فوالله لا تدرى فيم الجنان، ولا تدري فيم النيران، فبادر بالخيرات، وسارع بالطاعات، وتزوَّد من الحسنات.

وهذا نص الحديث عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: لَمَّا حَضَرَ أَبَا مُوسَى الْوَفَاةُ قَالَ: يَا بَنِيَّ! اُذْكُرُوا صَاحِبَ الرَّغِيفِ.

قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ أُرَاهُ، قَالَ: سَبْعِينَ سَنَةً، لاَ يَنْزِلُ إِلاَّ فِي يَوْمِ أَحَدٍ، قَالَ: فَنَزَلَ فِي يَوْمِ أَحَدٍ، قَالَ: فَشُبِّهَ، أَوْ شَبَّ الشَّيْطَانُ فِي عَيْنِهِ امْرَأَةً، فَكَانَ مَعَهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَ لَيَالٍ، قَالَ: ثُمَّ كُشِفَ عَنِ الرَّجُلِ غِطَاؤُهُ فَخَرَجَ تَائِبًا، فَكَانَ كُلَّمَا خَطَا خُطْوَةً صَلَّى وَسَجَدَ.

قَالَ: فَآوَاهُ اللَّيْلُ إِلَى دُكَّانٍ عَلَيْهِ اثْنَا عَشَرَ مِسْكِينًا، فَأَدْرَكَهُ الإِعْيَاءَ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ.

وَكَانَ ثَمَّ رَاهِبٌ يَبْعَثُ إِلَيْهِمْ كُلَّ لَيْلَةٍ بِأَرْغِفَةٍ، فَيُعْطِي كُلَّ إِنْسَانٍ رَغِيفًا، فَجَاءَ صَاحِبُ الرَّغِيفِ فَأَعْطَى كُلَّ إِنْسَانٍ رَغِيفًا، وَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ الَّذِي خَرَجَ تَائِبًا، فَظَنَّ أَنَّهُ مِسْكِينٌ فَأَعْطَاهُ رَغِيفًا، فَقَالَ الْمَتْرُوكُ لِصَاحِبِ الرَّغِيفِ: مَا لَكَ لَمْ تُعْطِنِي رَغِيفِي؟ مَا كَانَ إِلَيَّ عَنْهُ غِنًى.

قَالَ: تُرَانِي أُمْسِكُهُ عَنْك؟ سَلْ: هَلْ أَعْطَيْتُ أَحَدًا مِنْكُمْ رَغِيفَيْنِ؟

قَالُوا: لاَ.

قَالَ: إِنِّي أَمْسِكُ عَنْك، وَاللهِ لاَ أُعْطِيك شَيْئًا اللَّيْلَةَ.

قَالَ: فَعَمَدَ التَّائِبُ إِلَى الرَّغِيفِ الَّذِي دَفَعَهُ إِلَيْهِ، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي تُرِكَ، فَأَصْبَحَ التَّائِبُ مَيِّتًا.

قَالَ: فَوُزِنَتِ السَّبْعُونَ سَنَةً بِالسَّبْعِ اللَّيَالِي فَلَمْ تَزِنْ، قَالَ: فَوُزِنَ الرَّغِيفُ بِالسَّبْعِ اللَّيَالِي، قَالَ: فَرَجَحَ الرَّغِيفُ.

فَقَالَ أَبُو مُوسَى: يَا بَنِيَّ اُذْكُرُوا صَاحِبَ الرَّغِيفِ(١).



(١) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ١٨٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٣). **وقد** روى مرفوعًا، ولا يصح، «العلل» للدارقطني (٧/ ٢١١).

ساحر وغلام، وراهب وملك

كَانَ فيمن كان قبلنا من الأمم البالية والأزمان الماضية مَلِكٌ ظالم جبار، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ إِنِّي قَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَحَضَرَ أَجَلِي، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ السحرَ. لا يريد الساحر أنْ يموت علمُه بموته، يحرص كلَّ الحرص على نشر العلم الخبيث الذي تعلَّمه من السحر والدجل والشعوذة، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فانظر إلى حرص هذا الساحر على بقاء علمه، فشمروا يا طلاب العلم في طلب العلم النافع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فـ «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»(١).

فَكَانَ الغلام فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَجَعَلَ الغُلَامُ يَسْأَلُ ذَلِكَ الرَّاهِبَ كُلَّمَا مَرَّ بِهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخْبَرَهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَعْبُدُ الله»، فَأَعْجَبَهُ.

فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ وَقَالَ: مَا حَبَسَكَ؟

وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ ضَرَبُوهُ وَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ؟

فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يعبروا الطريق، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ تِلْكَ الدَّابَّةَ كَانَتْ أَسَدًا، واغتنمها الغلام فرصةً عظيمةً ليقوى إيمانه فقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ الْيَوْمَ أَعْلَمُ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ أَمْ أَمْرُ السَّاحِرِ؟

فَأَخَذَ الغلام حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ وَأَرْضَى لَكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ.

ثم رَمَاهَا فأرداها صريعةً على الأرض، وَمَضَى النَّاسُ فَقَالَ النَّاسُ: مَنْ قَتَلَهَا؟ قَالُوا: الغُلَامُ، فَفَزِعَ النَّاسُ وَقَالُوا: لَقَدْ عَلِمَ هَذَا الغُلَامُ عِلْمًا لَمْ يَعْلَمْهُ أَحَدٌ.

أَتَى الغلام الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ الخبر، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ.

إن الذي دث أمرٌ جللٌ؛ فلقد أجرى الله على لك كرامةً، والله يريد أمرًا ويهيئ أسبابَه، فاعلم أنك قادمٌ على شدةٍ وبلاء، فلا تتراجع إلى الوراء، وامضِ قدمًا لجنةٍ عرضا الأرض والسماء، ولسوف تبتلى في دينك بلاءً شديدًا، وترى منهم جهدًا جهيدًا، ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت:٢]، «**يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ**»[(١)].

ويابني! إني شيخٌ هرِم، قد رقَّ عظمي، وكبُر سنِّي، فإذا شاع في البلاد أمرُكَ فلا تخبرْ عني، فلست أقوى على البلاء والعذاب، وأنا أريد أن أقضيَ ما بقِي من عمري أعبد ربِّي.

(١) **إسناده حسن**: أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣).

وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بإذن الله، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فأتى الغلامَ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي.

فَقَالَ له مبصرًا وراشدًا: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ.

فليس بيد أحدٍ من الخلق جلب نفعٍ أو دفع ضرٍّ إلا بإذن الله تعالى، ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرَۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟

قَالَ: رَبِّي.

قَالَ الملك بغرورٍ وعلوٍ: أَنَا؟

قَالَ المؤمن بثباتٍ وإيمانٍ: لَا.

قَالَ الملك بغضبٍ وتوعدٍ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟

قَالَ المؤمن برباطة جأشٍ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ.

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ بصنوف العذاب وأنواع العقاب حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ.

ذهب جنود الملك فأتوا بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ ساخرًا: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ.

فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ.

قَالَ الملك بزهوٍ: أَنَا؟

قَالَ الغلام: لَا.

قَالَ الملك غاضبًا: أَوَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟

قَالَ الغلام ثابتًا: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ.

فَأَخَذَ الملكُ الغلامَ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ.

ذهب جند الملك فأتوا بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى أشد الإباء، وثبت مع جهد البلاء، فَدَعَا الملك المتجبِّر بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ.

ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِ الراهب، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ.

خُيِّرَ الراهب والمؤمن بين الحياة في الكفر والهوان، أو العيش في رضا الرحمن، والفوز بالجنان، فآثروا الباقي على الفاني، نسأل الله الثبات في مواطن المحن والشدائد.

قال خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً، قُلْنَا لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ! فَقُلْتُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟

فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، وقَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[١].

أتى الملك بِالْغُلَامِ فقال لَهُ مهددًا: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢).

فَدَفَعَهُ الملك إِلَى بعض جنده، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ وأعلاه، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ فأتوا به، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ واقذفوه.

فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ.

ياها من كلمةٍ جليلة، علم الغلام أنه لا قِبَل له بهذا الملك العتيّ؛ فأوكل أمره إلى الله القويّ، يارب! أعوذ من شرورهم، وأجعلك في نحورهم، فنجِّني من بطشهم وبغيهم، وكون عوني على ردعهم.

فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا واحدًا تلو الآخر فَتَدَهْدَهُوا أَجْمَعُونَ وماتوا موتة رجلٍ واحدٍ.

وهكذا من أوكل أمرَه إلى الله نجا، ومن اعتمد على قوة ربه عصمه من المهالك، ونصره على معتدٍ باطشٍ، فالله مع المؤمنين يحفظهم، وبعنايته يشملهم، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢].

وقد قال نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الكلمة؛ فإنه لما هاجر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بطش قريش؛ قال أبو بكر: فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا.

فَقَالَ: لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا.

قال: حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَّا فَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ قَدْرُ رُمْحٍ أَوْ رُمْحَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا، وَبَكَيْتُ.

قَالَ: لِمَ تَبْكِي؟

قَالَ: أَمَا وَاللهِ مَا عَلَى نَفْسِي أَبْكِي، وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَيْكَ.

قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ. فَسَاخَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ إِلَى بَطْنِهَا فِي أَرْضٍ صَلْدٍ، وَوَثَبَ عَنْهُ(١).

جَاءَ الْغُلَامُ فدَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ، وقد زاده الله إيمانًا، وملأ قلبه سكينةً واطمئنانًا، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مندهشًا: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟

قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ.

دعا الملك ببعض جندِه فَدَفَعَ الغلامَ إليهم، وقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ(٢)، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ وأغرقوه.

أخذ أعوان الظالم الغلامَ، وقد أوثقوه، وهم عازمون أنْ يُغْرِقوه، فركبوا السفينة، فلما توسطوا البحر فزع الغلام إلى ربه وخالقه؛ فلهج إليه بالدعاء، وقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ.

استجاب الملك لدعاء الغلام الصالح، فَانْكَفَأَتْ السَّفِينَةُ بالجند فَغَرِقُوا جميعًا، وَجَاءَ الغلام يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ متعجبًا: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟

قَالَ معتزًّا بربِّه ودينه: كَفَانِيهِمُ اللهُ.

ثم قَالَ الغلام لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، فَإِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ مَا آمُرُكَ بِهِ قَتَلْتَنِي، وَإِلَّا فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ قَتْلِي.

قَالَ الملك مستفهمًا: وَمَا هُوَ؟

قَالَ الغلام موضحًا: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي.

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣)، وأصله في الصحيحين، أخرجه البخاري (٣٦١٥)، **ومسلم** (٢٠٠٩).

(٢) **القُرْقُورِ**: السَّفِينَة الطَّوِيلَة الْعَظِيمَة.

جَمَعَ الملك النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَة الغلام وجعبته الصغيرة، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ الغلامُ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ من ساعته.

فَقَالَ أُنَاسٌ: لَقَدْ عَلِمَ هَذَا الْغُلَامُ عِلْمًا مَا عَلِمَهُ أَحَدٌ.

وقال جميع الناس في صوتٍ واحدٍ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ.

آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ.

آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ.

وهكذا قدَّم الغلام الصالح نفسَه في سبيل إعلاء كلمةِ الحق، ومات الغلام وأحيا الله بموته أمةً، لقد كان كل ما يشغل الغلام أن يعبدَ الناس ربَّهم، عاش هو طويلًا أو مات عاجلًا لا يهُمُّه ذلك.

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

أتى حاشية الملك؛ فقالوا: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، أَجَزِعْتَ أَنْ خَالَفَكَ ثَلَاثَةٌ، فَهَذَا العَالَمُ كُلُّهُمْ قَدْ خَالَفُوكَ، وآمَنَ النَّاسُ.

فأمر الملك الباطش في كل طريقٍ بالأخدود فخُدَّتْ، وأمر بالنيران فأُضرِمَتْ، وأمر بالناس فجُمعتْ، وقال لأعوانه وأتباعه من الظَّلمة: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، واقذفوه وأحرقوه فيها.

قام الجبابرة فأخذوا المؤمنين المستضعفين، فألقوا بهم في النيران وأذاقوهم العذاب المهين.

وكان من بين هؤلاء المؤمنين امرأةٌ آمنتْ بربِّها، وثبتتْ على دينها، فأتتْ ومعها ابنٌ لها ترضعُه، فخافت أن يُلقَى بها في النار هي وولدها، خافت على رضيعها الصغير، فكأنَّها تقاعست، وترددت.

فأنطق اللهُ ولدَها الرضيع وهو في مهده: يَا أُمَّهْ! اصْبِرِي؛ فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [البروج:١ - ١١].

وهذا نص الحديث عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أخرج مسلم[١]، عَنْ صُهَيْبٍ الرومي، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ [حم: إِنِّي قَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَحَضَرَ أَجَلِي. ت: انْظُرُوا لِي غُلَامًا فَهِمًا - أَوْ قَالَ: فَطِنًا - لَقِنًا فَأُعَلِّمَهُ عِلْمِي هَذَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَمُوتَ فَيَنْقَطِعَ مِنْكُمْ هَذَا العِلْمُ، وَلَا يَكُونَ فِيكُمْ مَنْ يَعْلَمُهُ]، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ [ت: قَالَ مَعْمَرٌ: أَحْسِبُ أَنَّ أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ كَانُوا يَوْمَئِذٍ مُسْلِمِينَ، قَالَ: فَجَعَلَ الغُلَامُ يَسْأَلُ ذَلِكَ الرَّاهِبَ كُلَّمَا مَرَّ بِهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخْبَرَهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَعْبُدُ اللهَ]، فَأَعْجَبَهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥)، وأحمد(٦/ ١٧)، والترمذي (٣٣٤٠)، بسند صحيح، والسياق لمسلم، وما بين القوسين من رواية الترمذي وأحمد.

فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ [حم: وَقَالَ: مَا حَبَسَكَ؟ وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ ضَرَبُوهُ وَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ].

فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ [ت: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ تِلْكَ الدَّابَّةَ كَانَتْ أَسَدًا]، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ [حم: فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجُوزُوا، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ أَمْ أَمْرُ السَّاحِرِ؟].

فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ [حم: لِلَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ وَأَرْضَى لَكَ مِنَ أَمِرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَجُوزَ النَّاسُ].

فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ[ت: فَقَالَ النَّاسُ: مَنْ قَتَلَهَا؟

قَالُوا: الْغُلَامُ، فَفَزِعَ النَّاسُ وَقَالُوا: لَقَدْ عَلِمَ هَذَا الْغُلَامُ عِلْمًا لَمْ يَعْلَمْهُ أَحَدٌ] فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ.

وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي.

فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ.

فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟

قَالَ: رَبِّي.

[حم: قَالَ: أَنَا؟

قَالَ: لَا].

قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟

قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ.

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ.

فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ

[حم: قَالَ: أَنَا؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: أَوَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟

قَالَ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ]، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ.

فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ.

ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ.

ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى.

فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ.

فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا [حم: فَتَدَهْدَهُوا أَجْمَعُونَ، وَجَاءَ الْغُلَامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ]، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟

قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ.

فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ.

فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟

قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ.

فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ [حم: فَإِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ مَا آمُرُكَ بِهِ قَتَلْتَنِي، وَإِلَّا فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ قَتْلِي].

قَالَ: وَمَا هُوَ؟

قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي.

فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ.

فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ.

آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ [ت: فَقَالَ أُنَاسٌ: لَقَدْ عَلِمَ هَذَا الغُلَامُ عِلْمًا مَا عَلِمَهُ أَحَدٌ، فَإِنَّا نُؤْمِنُ بِرَبِّ هَذَا الغُلَامِ].

فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ [ت: فَقِيلَ لِلْمَلِكِ أَجَزِعْتَ أَنْ خَالَفَكَ ثَلَاثَةٌ، فَهَذَا العَالَمُ كُلُّهُمْ قَدْ خَالَفُوكَ].

فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا [حم: فَكَانُوا يَتَعَادَوْنَ فِيهَا وَيَتَدَافَعُونَ.

ت: فَجَعَلَ يُلْقِيهِمْ فِي تِلْكَ الأُخْدُودِ. قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ [البروج:٤-٥] حَتَّى بَلَغَ ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج:٨]، قَالَ: فَأَمَّا الغُلَامُ فَإِنَّهُ دُفِنَ. قَالَ: فَيُذْكَرُ أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ وَإِصْبَعُهُ عَلَى صُدْغِهِ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ].

حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ».



يا رب! مَخَافَتُكَ

كان في سالف الدهور والعصور رَجُلٌ، وهب الله له من النعم الشيء الكثيرَ، فآتَاهُ اللهُ مَالًا كثيرًا وَوَلَدًا.

عاش الرجل حياته مسرفًا على نفسه فاقترف السيئات، وما تزوَّد بالباقيات الصالحات، فلَمَّا حُضِرَه الموت جمع أولادَه، فقَالَ لهم: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟

قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ.

ما قصَّرت في حقنا، ولا أهملت في رعايتنا، بل علمتنا وأدبتنا، ومن كلِّ ما نرغبُ أعطيتنا، جزاكَ الله عنا ما جازى خيرَ أبٍ عن أبنائه.

قَالَ الأب: فَإِنَّهُ لَمْ يَدَّخِرْ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا، ما فعلت في حياتي من الخير شيئًا، بل كنت عاصيًا، مسرفًا، مفرِّطًا.

قال: وَإِنْ يَقْدَمْ عَلَى اللهِ يُعَذِّبْهُ، لئن قدمت على ربي فلسوف يعذبني عذابًا مهينًا، ويعاقبني عقابًا أليمًا.

وفي لفظ: فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا. وظاهر اللفظ أنَّ الرجل من شدة إشفاقه وخوفه من لقاء ربِّه تلفظ بكلمات الكفر، وهو لا يشعر، كالرجل الذي أخطأ من شدَّة الفرح؛ فقال: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ.

ولعلَّه تلفظ بهذه الكلمات وهو يعي ما يقول، لكنَّه كان جاهلًا؛ فعذره ربه بجهله، وإلا فمن شك في قدرة الله عَزَّوَجَلَّ فقد كفر، وخرج من الملة، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر:٤٤].

ثم قال لهم مهددًا: ولَتَفْعَلُنَّ مَا آمُرُكُمْ بِهِ أَوْ لَأُوَلِّيَنَّ مِيرَاثِي غَيْرَكُمْ.

يا تُرى ما تلك الوصية المهمة التي سيوصي بها الأب أولاده؟

قال: إِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، أشعلوا نارًا عظيمةً واقذفوني فيها، حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي ودقُّوني حتى أكون رمادًا، ثُمَّ إِذَا كَانَ فِي يوم فيه رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي نِصْفِي فِي البَحْرِ، وَنِصْفِي فِي الْبَرِّ.

وظنَّ المسكين بجهله أنه بذلك سيهرب من عقاب الله وعذابه، وأنه سيكون شاقًّا على الله أن يعيده كما كان بكامة كن.

أَخَذَ الأب المَوَاثِيقَ والعهود من أبنائه عَلَى ذَلِكَ، فلما مات فَعَلُوا كما أمر.

لكنَّ الله على كل شيء قدير. ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]. فأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ.

أَمَرَ اللهُ البَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ البَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ.

وقَالَ اللهُ له: كُنْ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ.

ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟

قَالَ: مَخَافَتُكَ وفَرَقٌ مِنْكَ، مِنْ خَشْيَتِكَ فعلت هذا، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بحالي.

فتلقاه اللهُ برحمته، وشمله بمغفرته، وأسعده بجنته.

قَالَ قَتَادَةُ: رَجُلٌ خَافَ عَذَابَ اللهِ، فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

وهكذا الخوف من الله ينجِّي صاحبه من النيران، وينقله إلى الجنان، فمَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّةُ»[1].

قَالَ عَبْد اللهِ بْن مَسْعُودٍ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ[2].

(١) **إسناده إلى النبي** ﷺ **ضعيف:** أخرجه الترمذي (١٤٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

فلتكن وجلًا خائفًا من رب البريات، مكثرًا من الاستغفار بعد فعل السيئات؛ دائم التوبة من الزلات والعثرات، واجمع بين الخوف والرجاء؛ وتذكر أنَّ الله قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠]. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٦٧].

ولا تكن دائم الخوف، ولا دائم الرجاء، فلكلٍّ شيء موطنه، فإذا هممت بذنب وسولت لك نفسك فخف من الجليل، وتذكر أحد أصحاب الغار؛ ما نجَّاه من الذنب إلا الخوف.

وقد قال نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ»(١).

وإذا فرغت من ذنبٍ فخف من الله، وبادر بالتوبة، وارجُ رحمة ربك، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦]. ويُروَى في الحديث: «وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

وهذا نص الحديث عن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أخرج الشيخان(٣)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ، رَغَسَهُ اللهُ مَالًا [حم: لَقَدْ دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ مَا عَمِلَ خَيْرًا قَطُّ]، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟

(١) أخرجه البخاري في مواضع؛ منها (٤٢)، ومسلم (١٢٩).

(٢) **معل**: أخرجه ابن حبان (٦٤٠)، وأعله الدارقطني بالإرسال في «العلل» (٨/ ٣٨).

(٣) أخرجه البخاري في مواضع؛ منها (٣٤٧٨)، ومسلم (٢٧٥٧)، وأحمد (٣/ ١٧)، وهذا السياق للبخاري، وما بين القوسين عند الشيخين وأحمد من رواياتٍ أُخَر عن أبي سعيد.

قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ.

قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ [خ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا، قَالَ: فَسَّرَهَا قَتَادَةُ: لَمْ يَدَّخِرْ، وَإِنْ يَقْدَمْ عَلَى اللهِ يُعَذِّبْهُ. خ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا. م: لَتَفْعَلُنَّ مَا آمُرُكُمْ بِهِ أَوْ لَأُوَلِّيَنَّ مِيرَاثِي غَيْرَكُمْ].

فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، [خ: انْظُرُوا فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي، ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِي البَحْرِ. حم: وَنِصْفِي فِي الْبَرِّ. م: وَإِنَّ اللهَ يَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يُعَذِّبَنِي.

خ: فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وربي].

فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ [فَقَالَ اللهُ: كُنْ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟]

قَالَ: مَخَافَتُكَ فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ».

[خ: مَخَافَتُكَ - أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ - فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللهُ.

حم: قَالَ قَتَادَةُ: رَجُلٌ خَافَ عَذَابَ اللهِ، فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنْ مَخَافَتِهِ].



قد تجاوزت عنك

كان في الأمم السابقة رَجُلٌ آتاهُ اللهُ مَالًا، ووسَّع عليه في الرزق، ووهب له من الخيرات شيئًا كثيرًا، لكنَّ هذا الرجل لم يكن باذلًا الخيرات، بل كان مسرفًا على نفسه في الشهوات، وكَانَ يُدَاينُ النَّاسَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا.

فلما لَقِيَ العبد رَبَّهُ، قَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟

مَا عَمِلْتُ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ رَجُلًا ذَا مَالٍ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، كُنْتُ أَقْبَلُ الْمَيْسُورَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَعْسُورِ.

وكَانَ لِي غُلَامٌ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى قُلْتُ لَهُ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا.

فَقَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي.

وفي رواية: تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟

قَالَ: لَا.

قَالُوا: تَذَكَّرْ.

قَالَ: كُنْتُ أُدَاينُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ.

قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ».

فانظر إلى سَعة رحمة الله تعالى، وعِظم عفوه، وقد قال نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ**»(١).

ومن سعة رحمة الله تعالى أنه يغفر لمن شاء من عباده إذا مات على التوحيد، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، واذكر قول الحبيب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»(٢).

وبماذا دخل الرجل الجنة بعد التوحيد؟

بهذا العمل الجليل؛ الإحسان إلى الناس، والتجاوز عنهم، والتخفيف عليهم، والرفق بهم، وقد قال نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**»(٣).

كان صاحبنا يتجاوز عن المعسرين، ويتسامح مع الموسرين، وهكذا فهم أصحاب نبينا الأمين، فظلوا على هذا الدرب ثابتين، وخذ خبر واحدٍ منهم؛ وهو أبو قتادة الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ فقد طَلَبَ أبو قتادة غَرِيمًا لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ.

فَقَالَ أبو قتادة: آللهِ؟

قَالَ الرجل: آللهِ؟

قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٣١٩٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٢٨).

(٤) أخرجه مسلم (١٥٦٣).

فالله الله في التيسير على المسلمين، وبذل الإحسان للمحتاجين، والعفو عن المعسرين، نسأل الله أن يفرج عنَّا يوم القيامة الكربات، وأن يُثقل في ميزاننا الحسنات، وأن يعمَّنا بفضل منه ورحمات.

وهذا نص الحديث عن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ قَالَ: «اجْتَمَعَ حُذَيْفَةُ، وَأَبُو مَسْعُودٍ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: «رَجُلٌ لَقِيَ رَبَّهُ، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ[(١)]؟ قَالَ: مَا عَمِلْتُ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ رَجُلًا ذَا مَالٍ، فَكُنْتُ أُطَالِبُ بِهِ النَّاسَ فَكُنْتُ أَقْبَلُ الْمَيْسُورَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَعْسُورِ[(٢)].

فَقَالَ: تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي»[(٣)].

قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ[(٤)].

---

(١) م (١٥٦٠): «أُتِيَ اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا».

خ (٣٤٥١): «إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟

خ (٢٠٧٧)، م (١٥٦٠) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ: «كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَقِيَ اللهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ».

ن (٤٦٩٤)، حم (٢/ ٣٦١) بسند حسن من حديث أبي هريرة: «إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا. فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟».

م (١٥٦١) من حديث أَبِي مَسْعُودٍ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ.

(٢) م (١٥٦٠): «يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ».

ن: «قَالَ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى قُلْتُ لَهُ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا».

(٣) م (أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ): «أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ».

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٧٧، ٢٣٩١)، ومسلم (١٥٦٠)، واللفظ له.

أحبَّك الله؛ كما أحببته

زَارَ رَجُل أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى جنبات الطريق مَلَكًا في صورة بشرٍ، وبينما الرجل يسير أوقفه الملك، ودار بينهما الحوار الآتي:

الملك: أَيْنَ تُرِيدُ؟

الرجل: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ.

الملك: لِقَرَابَةٍ؟

الرجل: لا.

الملك: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا[1]؟

الرجل: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

الملك: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ.

ياله من شرف عظيم؛ أن يحبَّك الله!

وهكذا الحب في الله عَزَّوَجَلَّ ينفع صاحبه في يومٍ تشيب له الولدان، وينقله إلى ظلِّ عرش الرحمن، ويثقل حسناته في الميزان، ويسعد برضا الرحمان، ويهنأ بسكنى الجنان. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»[2].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:.. وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**»[3]. بينما الناس في عرقهم يغرقون، يكون المتحابون على منابر من نور يسعدون، وفي رحمات الله يتقلَّبون.

---

(١) «تَرُبُّهَا»: أي: تقوم بإصلاحها، وتنهض إليه بسبب ذلك.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

بل إنَّ النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جعل الحب في الله علامة على علو الإيمان ورفعته؛ قَالَ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحَبَّ لِلهِ، وَأَبْغَضَ لِلهِ، وَأَعْطَى لِلهِ، وَمَنَعَ لِلهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**»(١).

وقال صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(٢). فمن أحب في الله، استلذَّ الطاعات، وتحمَّل الصعاب في رضا رب البريّات، وكانت عاقبته الحسنى في يوم الأهوال والكربات، وسعِد في حياتِه، وسكن الجناتِ بعد مماته.

وهذا نص الحديث عن نبينا صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، «**أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟**

قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ(٣).

قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟

قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»(٤).



---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٨١).

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٣) حم (٢/ ٢٩٢) بسند صحيح: قَالَ: لِقَرَابَةٍ؟ قَالَ: لَا.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٦٧).

أخطأ من شدة الفرح

رَجُلٌ حَمَلَ زَادَهُ عَلَى بَعِيرٍ، ثُمَّ سَارَ ومازال يمشي بعُد عن الناس، وصار بأرضٍ خلاء، فَأَدْرَكَتْهُ قَائِلَةُ الظهيرة، فَنَزَلَ من على بعيره، فنام تَحْتَ شَجَرَةٍ وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، وَعَلَيْهَا سِقَاؤُهُ، وَطَعَامُهُ.

نام الرجل فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ فاستغرق في النوم، وبينما صاحبنا غرقٌ في أحلامه، انسلَّ بَعِيرُهُ يجُرُّ زِمَامَه.

اسْتَيْقَظَ الرجل فلم يرَ بعيره؛ ففزع فزعًا شديدًا، وظل يبحث عنه، فسَعَى شَرَفًا[1] فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَانِيًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَالِثًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَظل فِي طَلَبِهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ فَقَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَكُونُ فِيهِ حَتَّى أَمُوت.

رجع الرجلُ وقد امتلأ قلبُه خيبةً وحسرةً، وقد علم أنه لا حظَّ له في النجاة، فأَقْبَلَ حَتَّى أَتَى مَكَانَهُ الَّذِي نام فِيهِ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ ينتظر الموت.

ولو أنَّ صاحبنا عقل راحلته لَمَا احتاج أن يبكي على حاله، ولحَفِظَ بعيرَه، وما نام منتظرًا الموتَ.

وبَيْنَمَا صاحبنا قَاعِدٌ ينتظر الهلاك، وفجأة!!

نظر، فإذا بَعِيرُهُ قد جاء يَمْشِي، حَتَّى وَضَعَ خِطَامَهُ فِي يَدِهِ وَعَلَيْه زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فقَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ.

---

(١) «الشَّرْف»: المْوضع العالي من الأرض يشرف على مَا حوله.

أخطأ الرجل من شدة الفرح؛ فتلفَّظ بكلمة الكفر من غير قصدٍ، وهذا معفوٌّ عنه، ولو قصد لخرج من الملة.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَلَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ هَذَا حِينَ وَجَدَ بَعِيرَهُ عَلَى حَالِهِ**».

وهل الله يفرح؟

نعم، ربُّ العالمين يفرح، وهذه صفةٌ حقيقةٌ لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليق به، فالله يفرح عندما يتوب إليه عبده وينيب، يفرح بهم جلَّ شأنه وهو الغني عنهم، وفرحُه يتضمن رضاه عنهم، وقبول توبتهم.

والفرح في المخلوق على أنواع؛ فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب، وقد يكون فرح أشر وبطر؛ لكن الله عَزَّوَجَلَّ منزه عن ذلك كله، ففرحه لا يشبه فرح أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

فالله يحب لعباده التوبة والإنابة، ولذا فتح لهم باب التوبة لمن تاب، ووعد بالمغفرة لمن أناب، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

فمهما عظُم ذنبك فرحمة الله أعظم، وتذكَّرْ قول العالم لقاتل المائة: إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يتوبُ على مَن تابَ لقد كذبتُ؛ ومن يحولُ بينك وبين التوبةِ؟

ولذا أمر الله عبادَه المؤمنين بالتوبة؛ فقال: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

ومن سعة رحمة الله بعباده فتح لهم باب التوبة إذا تابوا؛ فقد قال ﷺ: «**إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ فَاغْفِرْ لِي.**

فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي.

ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ آخَرَ، فَاغْفِرْهُ؟

فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي.

ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي.

فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»[(١)].

فليعملِ العبد ما شاء؛ فكلَّما أذنب، ثم استغفر وتاب غفر الله له، وتاب عليه.

وهذا نص الحديث عن نبينا ﷺ:

أخرج مسلم[(٢)]، عَنْ سِمَاكٍ قَالَ: خَطَبَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ فَقَالَ: للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ حَمَلَ زَادَهُ وَمَزَادَهُ عَلَى بَعِيرٍ»، ثُمَّ سَارَ حَتَّى كَانَ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ، فَنَزَلَ، فَقَالَ تَحْتَ شَجَرَةٍ [حم: فَقَالَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، وَعَلَيْهَا سِقَاؤُهُ، وَطَعَامُهُ]، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ، وَانْسَلَّ بَعِيرُهُ[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٥)، وأحمد (٤/ ٢٧٣، ٢٧٥).

(٣) م (٢٧٤٦) من حديث البراء: «انْفَلَتَتْ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ، تَجُرُّ زِمَامَهَا بِأَرْضٍ قَفْرٍ لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ، وَعَلَيْهَا لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ».
م (٢٧٤٧) من حديث أنس: «فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ». **وانظر:** خ (٦٣٠٩).

فَاسْتَيْقَظَ فَسَعَى شَرَفًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَانِيًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَالِثًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَى مَكَانَهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ [حم: فَقَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَكُونُ فِيهِ حَتَّى أَمُوت].

فَبَيْنَمَا هُوَ قَاعِدٌ إِذْ جَاءَهُ بَعِيرُهُ يَمْشِي، حَتَّى وَضَعَ خِطَامَهُ فِي يَدِهِ(١)، فَلَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ، مِنْ هَذَا حِينَ وَجَدَ بَعِيرَهُ عَلَى حَالِهِ.

قَالَ سِمَاكٌ: فَزَعَمَ الشَّعْبِيُّ، أَنَّ النُّعْمَانَ رَفَعَ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّا أَنَا فَلَمْ أَسْمَعْهُ.

وأخرجا(٢)، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللهِ أَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ: حَدِيثًا عَنْ نَفْسِهِ، وَحَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ** [خ: حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ]، **ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ.**

فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ».



(١) م (٢٧٤٧): «ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».
(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤)، واللفظ له.

آخر رجلٍ يدخلُ الجنة

بعدما يدخل أهل الجنةِ الجنةَ ويدخل أهل النار النارَ يبقي رجلٌ، هذا الرجل هو آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل الجنة دخولًا الجنةَ، وهو من الموحدين من أمة محمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أو من أمة غيرِه من الأنبياء؛ لأنَّ الكفارَ مخلَّدون لا يخرجون من النار أبدًا.

هذا الرجل يمشي على الصراط فيكبو مَرَّةً، ويسقطُ على وجهه،

وتسفعُه النار مَرَّةً فتضرب وجهه وتسوِّدَه وتؤثر فيه،

ويحبو تارةً فيمشى على يديه ورجليه،

ويزحفُ تارةً على بطنه،

ويمشي تارةً أخرى على رجليه.

إذا جاوز صاحبنا النارَ التفت إليها، وقال: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا.

فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنَّ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا.

فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ.

و يعاهد الرجلُ ربَّه عَزَّوَجَلَّ أنْ لا يسألَه غيرَه، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا.

ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا.

فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟! لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟

فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا.

ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابُ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا.

فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا.

قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا.

وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا. فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا.

فَيَقُولُ الله: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أيُّ شيء يقطع مسئلتك منى؟ أيُّ شئ يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك؟ اذهب فادخل الجنة.

فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى.

فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى.

فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ.

قَالَ: «فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى.

فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا.

فيقول: أَيْ رب أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟

صدر هذا الكلام من الرجل وهو غير منتبه لما قالَه لما أصابه من الفرح والسرور ببلوغ مالم يخطر له على بالٍ. فلم يضبط لسانه من الدهشة والفرحة فقاله وهو لا يعتقد حقيقة معناه.

وهذا كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرجل الآخر الذي ضاعت ناقته وعليها متاعه وأيقن بالموت، فلما وجدها لم يضبط نفسه من الفرح، فقال: اللهم أنت عبدى، وأنا ربُّك.

فيقول الله تعالى له: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ.

وفي روايةٍ: يقول الله: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟

فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ.

فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ.

فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ.

فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ.

فيقول: لك ذلك ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، ومثله.

فيقول: في الخامسة رضيت يارب.

فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله.

واسأل نفسك: أي ملك من ملوك الدنيا مهما بلغ ملكُه هل يملك جميعَ الأرض؟

وعشرة أمثال الدنيا الذي يأخذه هذا الرجل إنما هو من باب التمثيل وإثبات السعة على قدر فهمنا، وإلا فعرض الجنة كعرض السموات والأرض.

ضحك عبدالله بن مسعود بعد أن ذكر هذا الحديث عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه ثم قال: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟

فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟

قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟

هذا الرجل هو أدني أهل الجنة منزلة، وحاشاهم أن يكون فيهم دني، بل كلهم في علوٍ ورفعةٍ.

فقد سأل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّه تعالي، فقال: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً.

قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ...

قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟

قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا،

فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ،

وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ،

وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

هذا هو أدني أهل الجنة منزلة؛ فهل من مشمر؟! فهل من مجتهد؟!

﴿ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى: ١٧].

أهل الجنة يحيون فلا يموتون، وينعمون فلا يبأسون، ويقيمون فلا يظعنون، ويشبون فلا يهرمون، ووصف نعيم أهل لجنة وما هم في من سعادة وهناء يطول الحديث عليه، وسأكتب في ذلك إن شاء الله رسالةً بعنوان: «رحلة الخلود».

لماذا إذا تتكالب علي الدنيا وتتقاتل عليها والقليل منها يكفيك؟

إن الغباء كل الغباء والخسارة كل لخسارة أن تبيعَ دنيا فانية بآخرةٍ باقيةٍ ﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة:٣٨].

إنَّ نعيمَ الدنيا في مقابل نعيمِ الآخرة هباءٌ منثورٌ، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟**»(١).

بل إنَّ عصاةً لك في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها؛ كما قال نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»(٢). وفي لفظ: «**لَقَابُ قَوْسٍ فِي الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ**»(٣).

إن شقاء الدنيا كله يُنسَى بغمسةٍ في الجنة؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ**»(٤).

صحيح البخاري (٩/ ٩٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَنْ يَأْبَى؟

قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»(٥).

وهذا نص الحديث عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ.

رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٠)، عن سهل.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٩٣)، عن أبي هريرة.

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٠٧).

(٥) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى م: «فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ، فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى، فَيُقَالُ لَهُ: لَكَ الَّذِي تَمَنَّيْتَ وَعَشَرَةَ أَضْعَافِ الدُّنْيَا».

فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى.

فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ.

قَالَ: «فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى.

فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا -.

قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي - أَوْ أَتَضْحَكُ بِي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟

قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: «فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً»[1].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.**

فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا.

فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا.**

فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧١، ٧٥١١)، ومسلم (١٨٦).

ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا.

فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا.

فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا.

ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا.

فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا.

قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا.

فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا.

فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟

قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟

فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟

فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟

قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ**»(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، رَجُلٌ صَرَفَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ، وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا**».

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم (١٨٧).

وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ: فَيَقُولُ: «يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَزَادَ فِيهِ: «وَيُذَكِّرُهُ اللهُ، سَلْ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ: هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ».

قَالَ: «ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَتَقُولَانِ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ».

قَالَ: «فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ»[١].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ.

فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا.

فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ.

فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا» فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ[٢].

وعن الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، يُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ - قَالَ سُفْيَانُ: رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا، أُرَاهُ ابْنَ أَبْجَرَ - قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً.

قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ.

فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ.

فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨).

ولأحمد (٣/ ٢٧): «قَالَ: وَأَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، يُنْعَلُ مَنْ نَارٍ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ».

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠).

فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ.

فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ.

فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ.

فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ.

قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟

قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧] الْآيَةَ(١).



(١) أخرجه مسلم (١٨٩).

وختامًا

نسألُ الله الجليلَ أنْ يغفرَ لنا ما كان في كتابِنا من تقصيرٍ، وأن يسدِّدَنا في كلِّ عملٍ كبيرٍ وصغيرٍ، وقد بذلتُ ما في وُسْعِي لنيْلِ الحقِّ والصوابِ ما استطعتُ إلى ذلك سبيلًا.

لكنَّ العصمةَ والكمالَ للربِّ العظيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أبى أن يكمُلَ إلا كتابُه، فما كان من توفيقٍ فمنه سبحانه، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء. ومن وجدَ عندي من خطأٍ فلْيُتحفني به، وأنا دائمُ الشكر له ولامتنان، ومن وجدَ ما يسرُّه فليدع لكاتبِه بسكنى الجنان، والله المستعان.

وكتبه

أبو حاتم القاضي

الفهرس

